الطريق الطويل الى تورغار

كان العرب فى قمة نشاطهم فى أواخر شتاء 1988. فقررت عدم إضاعة الوقت والتحرك بسرعة صوب "بارى", فلم استطعنا مع الافغان تحقيق ضربة موجعة للشيوعيين فى وخوست, فسوف يكون لها تأثير كبير فإتفاق نيف سوف يوقع غالبا فى منتصف أبريل, ومدينه خوست ملئ سمع العالم وبصره بعد الضجة العالمية التى لم يسبق لها مثيل حول معركة طريق "زدران", فالاضواء لم تبتعد كثيرا ولم تنسى طريقها الى المنطقة ... فلا بد أن يخرج السوفييت بفضيحة عسكرية أن لم يكن بهزيمة كاملة... وليس أفضل من خوست لتحقيق ذلك.

اليوم هو الاربعاء الاول من مارس 1988. رغم لسعة البرد الخفيفة إلا أن الطقس فى إسلام آباد يفوح برائحة المبكرة لفصل الربيع... لكن أفغانستان شئ آخر... وحتى خوست اللطيفة فإن بردها فى مارس لابد أن يوضع فى الحسبان.

أربعة توقيتات هامة وخطيرة عند حساب توقيت العمليات العسكرية فى أفغانستان

أولا : فصل الشتاء, وهو متفاوت الوطأة من منطقة الى أخرى لكنه قاس على كل حال ويؤدى غالبا الى شلل فى العمليات, وغالبا مايدفع المجاهدين الى الخلف تاركين بعض الجبال أو السهول الصعبة حتى ولو كانت هامة بالنسبة لهم.

ثانيها: شهر رمضان المبارك, فليس أحب على الأفغان من قضاء هذا الشهر فى وسط عائلته وقريته.

ثالثا : عيد الفطر -- رابعها: عيد الأضحى.

فالحرب يمكنها أن تنتظر فهى مستمرة من سنوات, ولم تظهر لها نهاية.

فلماذا لاينتظر تلك الحرب حتى يعود الناس من عطلات العيد من الأهل والاحباب؟

هذه أعراف أو قوانين, يصعب جدا تخطيها أو تغيرها, والمصيبة أن السوفييت يعلمون ذلك, ويستفيدون منها دائما وفى كل مكان من أفغانستان, فهذه المواسم الاربعة هى مواعيد دائمه الانتصارات موسمية لقوات السوفييت وحلفائهم.

كنا نتحرك فى وقت ضيق ومضغوط, فالشتاء لم ينته بعد فى أفغانستان, لكن خوست لابأس بها على أيه حال, ولكن ماذا عن رمضان وهو على "مسيرة" شهر ونصف من الآن".. لو حالفنا التوفيق, وتحركت حماسة المجاهدين فقد يقضون معنا رمضان والعيد أيضا .. وحدث ذلك أحيانا فى السابق... ومن يدرى فربما تكرر ذلك هذه المرة أيضا.

تحركت من إسلام آباد ومعى الصديق "أبومعاز"-- من جماعة الجهاد المصرية ومع كونه خبيرا فى "تفسير الاحلام" فهو لطيف المعشر موح مثل معظم أمثاله من أصحاب الوزن الزائد, كان من المفروض أن تولى أبو معاز الأمور الادارية المتعلقة بعمليتنا القادمة من خلال مكتبنا فى مدينة ميرانشاه الحدودية التى هى المركز الادارى الخلفى والرئيسى لكل الوحدات العاملة فى خوست, ومناطق غيرها كثيرة. ولقد أدى أبو معاذ عملية بجدارة ومثابرة هادئة مع ابتسامة دائمة لم أضبطه يوما بدونها.

تحرك معنا "ول-يد" أبنى الاكبر حتى ينضم الى معسكر أبو أسامة فى ورسك, أما "خالد" أبنى الآخر فقد استطاع أن يتملص من السفر معى, فقد كان مشغولا ببعض الصفقات التجارية الصغيرة فى "بازار" الحى الذى نسكن فيه, فقد صارحنى أنه يريد ترك الدراسة وأن يتفرغ للتجارة, ويريدنى أن اساعده فى أفتتاح "سوبرماركت."

كنت أظن أننى أقنعته بالاهتمام بدراسته, وتأجيل مشروعه التجارى إلى مابعد التخرج, لكن روحه الاجتماعية المرحة, وجرأته, واتقانه اللغة المحلية بسرعة, جعلاه يحرز نجاحا تجاريا اكثر مما كنت أتوقع, فشجعه ذلك على المضى قدما فى احلامه التجارية.

وساعده على ذلك تلك المعاملة "الوحشية" التى لقيها من اساتذته فى "المدرسة الليبية" التى يبدو أنهم جعلوه هدفا للقصاص من كل أخطاء الحكومة المصرية فى حق "الاخ العقيد" قائد الثورة الفاتح من سبتمبر. وخالد بدوره استجاب لفطرته المحبة للانطلاق وعشقه الموروث للنكته المصرية, فحصول أحد الهتافات المدرسية التى يطلقوها فناء المدرسة من "الفاتح ثورة الحرية" الى "الفاتح ثورة الحرمية". وعاد يومها من المدرسة وهو يحمل على صدغه الايسر طابع أزرق كبير من خمسة أصابع من كف مدرس الصف.

فى تلك النزهه الخلوية كان ذلك الكتاب هو متعتى الكبرى... وقد لخصت نقاطه الرئيسيه فى "نوته" صغيره مازلت احتفظ بها مع الكتاب.

ولاشك أن ذلك الكتاب العميق والممتع قد رفع معنويات المتدنيه... فرجعت مرة أخرى الى مفكرتى مسجلا فيها مقترحات جديده للخروج من ورطتنا العربيه ولتطوير عملنا... وعمل المجاهدين أيضا ... مثلا:

فى يوم الثلاثاء 26 أبريل كتبت هذه الملاحظات ؛ راودتنى فكة أن أعرض على الشيخ جلال الدين تجميع الاسلحة الثقيله المبعثره لدى مجموعات المجاهدين فى وحدات مدفعيه خاصه, واستخدامها فى عمليات عسكرية مشتركه, أيضا أن ينزل مدفعى "الشلكا" من فوق جبل جاور واستخدامها في العمليات الهجوميه, حيث أن الطيران سيكون ضعيفا بعد أنسحاب الروس والموقف يحتاج الى عمليات هجوميه كبيره.»

؛كذلك فكرت مرة أخرى أن اعرض على أبو عبيده وأبو عبدالله لتكوين قوة ثابته من العرب تعمل على ترتيب العمليات الهجوميه الكبيرة... مع توضيح تخصصات الافراد مع تسلسل هزمى للقياده حتى لا نتعرض للغوص الذى حدثت فى بارى.»

ثم أضفت وراء ذلك مباشرة تلك الملاحظة الغريبه:

؛ يبدو أكثر الافكار نظريا ولايساعد الواقع على تنفيذه... لهذا أفكر منذ الأمس فى مقابله مسعود فى بانشير لدراسه تجربته.

والكتابه عنها كأحدث عمل من نوعه بين المسلمين... ثم التوجه بعدها لدراسه التجربه الثوريه الكبرى فى أيران."

لحسن الحظ ان كل الافكار لم تكن نظرية لأن حقانى قد نفز معظم ماكنت أفكر فيه, ولكنا قد تحدثنا مرارا عن ضرورة تجميع الاسلحة الثقيله, وقبل فتح خوست كانت قواته قد وصلت مستوى جيد من التنظيم.

أما على الجانب العربى فلم يتم تنفيز شئ مما كنت افكر فيه... بل سارت الامور على نفس المنوال وأدت الى كل الكوارث المتوقعة.

ولم تسمح ظروف الايام التالية على أن أذهب الى بانشير... وكذلك لم يكن ممكنا انذاك الذهاب إلى إيران لأن الاجواء المذهبة والسياسية المسيطرة على بشاور بشقيها الافغانى والعربى ماكانت لتسمح بالذهاب الى هناك خاصه بالنسبه لى, فقد كان ذلك إنتحارا حقيقيا ... وليس سياسيا فقط.

ولكننى كنت اصارح أصدقائ المقربين بما افكرفيه ... فعند عودتى الى ميرانشاه (يوم الخميس 28 ابريل) جلست مع أبوعبيده الذى أفتقدنى فى الايام الماضيه, وكذلك إخواننا فى بارى... وقد عرفوا بعد بحث أننى معتكف فى ليجاه... اخبرت أبوعبيده بوجهه نظرى حول مايحدث فى بارى وأننى تركت العمل هناك ... الى آخر توصياتى حول العمل هناك. ثم أخبرته بالمقترحات الجديده حول القوة الثابته للعرب.

عادت الى ابوعبيده طبيعته المجامله وروحه الاخويه المرحة, فوافق على جميع مقترحاتى, بل طالبنى بأن أولى أمر تكوين القوة الثابته وتأهيلها.

ولكننى كنت مازلت واقعا تحت صدمه بارى... فاعتزرت له عن ذلك ولكننى رشحت أصدقائنا أبو حفص وأبوجهاد أن يتوليا هذا المشروع وكان كلاهما مازالا فى الدورة التدريبيه فى شاهى كوت تحت اشراف حفظاه واخبرت سلطان أننى انوى السفر إلى بنشير ثم إيران لدراسه تجربه مسعود فى حرب العصابات ثم تجربته الثورة الايرانيه التى حتما سنجد في حرب العصابات ثم تجربه الثورة الإيرانيه التى حتما سنجد فيها الكثير من الدروس المفيده لعملنا فى المنطقة العربيه خاصه مصر.

فأخبرنى أبو عبيده أن الدكتور عبدالمعز أرسل إليه رساله يقول فيها أنه يرغب فى مقابلتى إما فى ميرانشاه أو بشاور, فسألته عن سبب ذلك فقال أنه شصيا يخمن أن الدكتور عبدالمعز يرغب فى أن اتعاون معه فى انشاء مكتب أبحاث ودراسات.

ثم اخرج ابوعبيده عده صخور صغيره من درج مكتبه, وقال أن هذه الصخور ارسلها له عبدالرحمن من "توره شنى" فقد ذهبوا ليلا الى جبل توغار برفقه "أول دين" وصعدوا منه جزءا ثم رجعوا... وقد احضر عبدالرحن هذه الصخور كتذكار.

أخذت الصخور بين يدى أقلبها وأنا فى دهشه كأنها صخور جاءت من سطح القمر »كانت قطعا سوداء بازلتيه... وأختلطت مشاعرى وافكارى ولم ادرى ماذا أقول... فغمغت قائلا : جيد »جيد.

صديقى عبدالرحمن يسكن فى بشاور مع زوجته, ويتلقى علاجا بالإبر الصينية فى أحد المستشفيات لعلاج مشاكل مزمنة فى اللوزتين, تلائيت مع وكان عليه أن يتجهز بالرحيل مع عائلته الى ميرانشاه حتى نبدأ برنامجنا فى خوست, كان عبدالرحمن سعيدا بذلك الانتقال ويسعى اليه منذ فترة.
اصدقاؤنا الجدد شفيق وأبو أنيس يبذلون أقصر جهدهم للانتقال معنا بسرعة, ويرشحون عناصر أخرى من شباب الجزيزة وغيرهم.
ورغم التحذير فإن اقبال الشباب على معسكر أبو اسامة من ورسك كان شديدا . وكثيرا منهم كان قد تدرب قبلا فى "صدى" لكنى حسب الاستطلاع دفهم لمعاينة "أبوأسامة" الرهيب الذى صورته احاديث عرب بشاور كأنه وحش كاسر, وربما أن البعض دفعته الى هناك غريزته فى تحدى الصعاب.
مفاجأة أخرى تمثلت فى وجود عدد من الامريكيين الأفارقة, وصلوا إلى بشاو من أجل التدريب تعرفنا منهم على أبو آمنه, وخليل مع ثلاثة آخرون لا أذكر أسمهم. كان أجمالى عددهم أكثر من ذلك وحدث بينهم بعض الاضطرابات لكونهم من مجموعات مختلفة, وبينما اتفقت مجموعة منهم مع الدكتور عبدالله عزام على المجئ للتدريب, كانت مجموعه أخرى قد أتفقت مع صاحبنا "سلطان", وألقت المجموعتان فى نفس البيت فى بشاور على الرغم منهما ومع حرص كل واحدة الا تعرف الأخرى عنها شيئا (!!)... كانوا جميعهم من محترفى الرياضات العنيفة أحد كان أستاذ فى "الملاكمة التايلاندية", انقطعت صلته بهم بعد فترة وجيزة, لكن ولي-د -- الذى كان قد تعلم الانجليزية بشكل جيد -- فقد عقد معهم صداقة استمرت لفترة طويلة نسبيا ... فنالته كمية لابأس بها من اللكمات والرفسات, لكنه فى المقابل تعلم منهم ما جعله يعتقد أنه ملاكم جيد.
كان خليل هو أكبرهم سنا وكان ينظر الى متسائلا... "نريد أن نعرف: من هو من"... لقد كان سؤاله مؤلما ولم تكن عندى الإجابه فلزت الصمت... وحتى النهاية المأساوية لهذا الخليط المضطرب للعرب فى أفغانستان, لم يكن أحد يستطيع الاجابه على سؤال أخينا خليل: من هو من.??
فى نفس اليوم كان لنا زيارة لأحد البيوت السرية التى يشغلها أحد قادة تنظيم الجهاد, وهو الدكتور عبدالمعز, كان البيت يقع قرب نهاية أحد التفريعات الضيقة لشارع الجامعة فى منطقة تدعى "تهكال", كنت قد تعرفت على الدكتور عبدالمعز منذ عدة أشهر, وهو جراح ناجح, وشقف ذكى, واليوم تم كشف النقاب عن ذلك المقر السرى لأن ضيوفا هامين قد حلوا على البيت, وكان مقابلاتهم كثيرة لدرجة أن الدكتور عبدالمعز ترك لهم البيت مؤقتا لحين أنتهاء زيارتهم لباكستان.
كل الضيوف هو "محمد شوقى الاسلامبولى" والسيدة والدته, وكانت تلك هى المرة الأولى التى ألقاهم فيها, والمرة الأخيرة التى قابلت فيهم تلك السيدة الفاضلة.
لقد تكلمت معنا طويلا ... وكنا حشد من المصريين العاملين فى "الجهاد الأفغانى" وكان موضوعها الاساسى ذكرياتها عن إبنها الشهيد "خالد". ولما وصلت الى يوم تنفيذ حكم الاعدام فى إبنها الشهيد "خالد". ولما وصلت الى يوم تنفيذ حكم الاعدام فى إبنها, نفثت فى الجالسين شحنه هائلة من العواطف, منبعة قلب أم شكلت أبنها الاكبر.
قالت السيدة أم خالد أن موعد تنفيذ حكم الاعدام لم يكن معلوما لدى خالد أو زملاؤه الآخرون.
فى آخر مره زارته فى السجن وكان دائم الصيام وقراءة القرآن, طلب منها أن تحضر معها فى زيارتها القادمة بعض العصير ولأخوانه ليفطروا بها.
وفى يوم الزيارة الاخيرة وصلت الأم فى وقتها المحدد, ومعها العصير, لكنها لم تجد ولدها الحبيب فى الزنزانه, حاول بعض موظفى السجن ظمئنتها ولكن قلب الام لايخطئ, لقد أدركت أنهم إصطحبوا إبنها الى ساحة الإعدام فى السجن, ولم يلبث أن عاد بعض المسئولين الذين شاهدوا عملية الاعدام وأنبؤها بالخبر وكان بعضهم يرتدى قفازات, وفى الغرفة بعض النساء العاملات فى السجن, وكانوا يتوقعون رد الفعل التقليدى لأية أم يصدمها مثل ذلك الموقف الرهيب, ولعل نساء السجن استعددن لافاقة السيدة من إغمائها المتوقع.
ولكن ردة فعلها أذهلتهم بل عذبتهم, لقد اطلقت السيدة زخات طويلة من الزغاريد, وهنأت نفسها بصوت مرتفع باستشهاد أبنها الذى ارتقى الآن الى جنات الفردوس وأنه حى يرزق عند ربه... كان فرحها قويا ومتحديا ... للسجن والسجانين وفرق الأعدام... لقد دعتهم الى مشاركتها فرحتها وأن يتناولوا هذا العصير الذى أحضرته لأبنها حتى يفطر عليه من صومه... فهو لم يعد فى حاجة إليه... فما عند ربه من نعيم خير وأبقى.

وصبت السيدة أم خالد اكواب العصير وتقدمت بها الى السجانات, وضباط السجن, وأصحاب قفازات الاعدام لكنهم لم يتحملوا هذا الكرم... والفرح المخلص العارم للأم الثكلى حطم اعصابهم المجرمة... خرج الرجال من الغرفة مسرعين وانهارت النساء باكيات وهم يتوسلن إليها أن تصمت فلم يعد لديهن القدرة على تحمل المزيد... وصاحت إحداهن "كفى ... حرام عليكي ... أي صنف من البشر أنت أرحمينا من هذا العذاب"...
طفرت الدموع من أعين الجالسين, وسألت بعض الجالسين بصوت منخفض, اذا كانت تلك القصة قد كتبت أو تم تسجيلها وتوزيعها, وكانت الاجابة بالنفى... فعجبت لذلك فالدقائق التى تكلمتها تلك السيدة معنا أقوى من كل ما قالته الجماعات الاسلامية مجتمعه.
وهى ماده كفيلة باكتساب قلوب كل الناس... بعكس أدبيات الحركة الجهادية, التى تترك (عندى على الاقل) أثرا معاكسا لأفتقارها الى الروح الانسانية... ولو أن تلك السيدة كانت زعيمة لحركة الاسلامية -- حتى ولو كانت جهادية -- لما تركت مجلس ذاك قبل أن أبايعها على السمع والطاعة.
قدمت للسيدة أم خالد اقتراحا أن تزور مناطق المجاهدين فى بارى وأن هناك مراكز العرب, وأن نصور تلك الزيارة بالفيديو ونوزعها على نطاق واسع, وأن الفوائد من ذلك العمل الاعلامى سوف تكون كبيره سواء للمجاهدين فى مصر أو فى أفغانستان.
كان الاقتراح غير متوقع, ولكن السيدة كانت جريئة ومتحمسة أما أبنها "محمد" فقد كان متحفظا أولا : لصوبه توفير الامن له. فتوليت الدفاع عن فكرتى... فقلت له أنها لن تكون مضطرة للمسير فسوف نوفر لها حصانا مريحا ومطواعا , ومن ناحية الأمن فسوف نوفر لها أفضل حراسه شخصية ممكنه كأفضل مايتوفر لشخصية هامة تزور الجبهة... أما اخطار الحرب فكلنا معرض بها بلا فرق أو تميز.
كان صديقنا سلطان مؤيدا لأقتراحى, وظل "محمد شوقى" مترددا وانتقل التردد الى السيرة, فقد تأخرت عن مصر لفترة طويله وزوجها هناك وحيدا , وعليها أن تقدم بزيارة عمرة قبل أن تقرر إذا كانت ستزور الجبهة أم تعود الى وطنها.
وأخيرا سافرت السيدة لأداء العمرة ثم العودة الى مصر ووعدت أن تعود مرة أخرى الى أرض الجهاد بعد شهر, ولكننى لم أسمع عنها شئ بعد ذلك.
)))))
(تلك المذكرة التى أعطيتها عنوان " تجارب على الطريق" وتتناول مبادئ حرب العصابات من تطبيقات لما يحدث فى أفغانستان, ولم يكن شئ من هذا القبيل قد ظهر على ساحتنا العربية فى أفغانستان, وكنت أظن أن ماكتبته وقتها هاما , أو مفيدا , وقد كان ذلك إفراطا فى الأمانى, وتفريطا فى الحذر.
تركت من تلك المذكرة ثلاث نسخة لصديقنا "سلطان" حتى يقرأها الشباب فيما بينهم, وأعطيت نسخة للصديق "أبو محمد السودانى" وهو من أفضل الأخوة الصراعين الذين قابلتهم فى أفغانستان لكنه لم يمكث فيها طويلا , ولم نعمل معا أبدا.
((((
هناك تقدم فى المجال الطبى الصديق محمد حسن عاد من أجازته وأحضر معه ثلاثة أطباء مصريين أحدهم العمل فى قسم النساء الذى أنشئ حديثا بالمستشفى الذى بناه حقانى منذ عده سنوات.
دعانى "محمد حسن" للجلوس مع الاطباء الثلاثة حتى أحدثهم عن الوضع الحالى للقضية الأفغانية, فتكلمت معهم حوالى الساعة وفى النهاية اعتزرت لهم أن كان حديثى مخيبا لأمالهم وللصورة الوردية التى جاءوا بها... لكنهم شكرونى بأخلاص على صراحتى معهم, وقالوا أن ذلك سيجنبهم الصدمات ويجعلهم أكثر إستعدادا لتحمل الشدائد... فأكدت لهم أننا قادرون على إحراز النصر, ولاعذر لدينا إذا لم نفعل لأن الوسائل متوفرة معنا, ولكن نقص الأخلاص والاطماع الشخصية والحزبية قد تسبب كارثة عظيمة فى أفغانستان وغيرها.
((((
يوم الجمعة الثالث من مارس: أدينا صلاة الجمعة فى المسجد القريب من مكتب حقانى, على الجانب الآخر من قضبان السكة الحديد, بعد الصلاة عثرت على الشيخ نصرالله منصور, وكان من أحب الشخصيات التى أستفيد منها وأرغب دوما فى الجلوس معها, فهو أولا يعطينى مايكفى من الوقت لمناقشة وبحث كل شئ أريد, والثانى أنه يقف معى على جانب المعارضة للأحزاب المقاومة الافغانية وانحرافاتها, والثالث "أفكر" فى مثل ذلك المخرج, وبالطبع كانت أمكاناته فى العمل أضعاف ماكنت أحلم به لنفسى, فهو عالم فى أفغانستان وعضو

مؤسس للتحرك الجهادى منذ سنوات قبل الانقلاب الشيوعى. ودوما كنا نجد أنفسنا على إتفاق حول الافكار الاساسية للعمل من أجل الخروج من الأزمة.
الشيخ منصور قال أن حقانى حضر معنا صلاة الجمعة وأنهما تحدثا قليلا بعد الصلاة... كما أخبرنى أنه على وشك أن يعقد مؤتمرا صحفيا وسوف يخبرنى بالموعد تلفونيا.
عقد المؤتمر الصحفى فى الخامسة مساء فى فندق "جرين أوتيل" فى منطقة صدر فى بشاور, وذلك متأخرا ساعة عن موعده نتيجة لتأخر الصحفيين عن الحضور, فلم يعد مولوى منصور من الشخصيات الهامة فى ذلك الوقت, كما أنه من المغضوب عليهم من الجهات الغربية المهيمنة على مسيرة الأحزاب الجهادية الافغانية, ومنذ أربع سنوات وثقله العسكرى يتناقص بشكل ملحوظ, حتى إنحصر فى منطقة "زرموات" جنوب وجنوب غرب وادى "جرديذ", وحتى هناك بدأ تواجده العسكرى يذبل, وأن ظل تواجده الأدبى والمعنوى كبيرا.
لقد انحسرت عنه المعونات المالية والاسلحة... وتحالفه غير المعلن مع »"إيران" لم يعوضه سوى عن قليل مما فقد, لكن الضرر السياسى المترتب على ذلك كان فادحا, خاصة فى ساحة بشاور التى تمين عليها السعودية والتى حبست عن منصور المعونات العينية والخدمات الأخرى من طبيه وتعليمية.
ناهيك عن تضرر سمعته بين مجموعات العرب المجاهدين والموظفين فى الهيئات, والمعبأة شدة بعداء مذهبى مرير ضد الثورة الإيرانية, ضاعفه الولاء المالى تجاه السعودية ودول الخليج.
وكانت حرب العراق ضد إيران قد اكتست بالطابع المذهبى لدى التيار الاسلامى, خاصة السلفى منه, وكان التيار الجهادى هو مجرد طبعه جديدة أكثر تشددا, من التيار السلفى الحكومى فى السعودية.
بدأ المؤتمر بالحديث عن "حكومة أحمد شاه" المؤقته وأعلن عدم اعترافه بها, لأنها جاءت بتدخل وضغوط دولية, وأن الذى اختار أحمد شاه هم سبعة أشخاص فقط هم الزعماء السبعة وأصر منصور أنهم لا يمثلون فى أفغانستان سوى أنفسهم.
سأله الصحفيون وكانوا جماعة من الباكستانيين مع إمرأة أوربية.
-ما موقفك إذا وقعت باكستان أتفاقية نيف... هل تبقى هنا أم ترحل للجهاد فى أفغانستان؟
فرد الشيخ عليهم قائلا : نحن نشكر باكستان حكومة وشعبا على دعمهم لنا ... لمجاهدينا ومهاجيرنا -- ومازلوا يساعدوننا حتى الآن وأرجوا أن يساعدوننا فى المستقبل ... وفى حال توقيعهم على الاتفاقية وأبواب إيران مفتوحة لنا... وسوف نحصل على دعمهم.
لقد أذهلنى تلويح الشيخ بالورقة الإيرانية... ولا أدرى لماذا ومضى فى ذهنى أنهم سوف يغتالونه فى بشاور بسبب هذا الموقف وظننت لفترة أن هذا المصير يطارده فما أكثر من قتلوا فى بشاور بسبب مواقفهم السياسية.
لكن مجهولون فجروا سيارته بالقرب من جرديز بعد ذلك بأكثر من أربع سنوات, ومازالت أعتقد أن الجهه التى قتلته هى نفسه الجهه التى توقعت أنها ستفعل ذلك, ولكنها تأخرت عدة سنوات.
استقبل الصحفيون كلام الشيخ منصور بعدم اهتمام... وفى صباح اليوم التالى لم تظهر فى وسائل الاعلام ولاكلمة واحدة عن ذلك اللقاء, وقد أحزننى ذلك التجاهل... وذهبت صباح ذلك اليوم الى مكتب الشيخ منصور ويصحبنى أبومعاذ, وعدة ساعتين تحدثت معه عن الوضع الحالى وموقف الاحزاب, وموقف أيران من القضية الأفغانية, ورأيه شخصيا فى إيران وثورتها, وكان قد زارها عدة مرات.
فأبدى الشيخ جرأة واستقلالية فى الحديث عن إيران... وقال أنه كعالم من الاحناف فإنه يعارض تماما أحكام التكفير ضد أيران والشيعة, ولم ينفى وجود خلافات فقهية مع الشيعة ولكنه عارض تماما فكرة التكفير.
واعترف بأنه تلقى مساعدات مالية وتسليحية من إيران, ولكن ليس بالقدر الذى كان يتلقاه سابقا من باكستان, وعزمى ذلك الى ظروف الحرب التى تعانى منها إيران, رغم تلك الظروف التى ذكرها فقد لاحظ أن أحوال المهاجرين الافغان هناك هى أفضل منها فى باكستان واكثر إنضباطا رغم عدم تسلح إيران أية مساعدات دولية للمهاجرين لديها أو أنها تتسلم ملا يذكر من تلك المساعدات, نتيجة للحصار الدولى المضروب عليها, كما أبدى إعجابه بالطريقة التى يبنون بها إقتصادهم رغم ظروف الحرب القاسية.
ثم إنتقلنا للحديث مرة أخرى عن مخرج للعمل الجهادى فى أزمته الحالية, وكيف أن الاحزاب فى بشاور تسير فى ركاب أمريكا وباكستان والسعودية ولن تحقق شيئا من أهداف الجهاد, وقلت له أن اصلاح الانحراف الحالى والمستمر منذ سنوات لابد له من تحرك من جانب العلماء فهم قوة معنوية يطيعها الشعب الأفغانى ويحترمها, وقد كان للعلماء محاولات فى السابق لاصلاح مسيرة الاحزاب لكن "الزعماء" فى بشاور افشلوا تلك التحركات

بل وأفسدو العديد من دعاة الاصلاح... الآن وقد اكتملت الرؤية ونضجت التجربة فهل يستطيع العلماء بذلك محاولة جديد... ربما كانت الأخيرة؟

كان مولوى منصور متحمسا دوما لدور العماء فى الجهاد, وبالتالى فهو تحمس لتلك الفكرة بل أنه قد اتخذ خطوات متعددة لتجميع العلماء, وعقد معهم إجتماع عديدة فى مناطق حدودية.

وأخبرنى أن الاحزاب على مقاومته وأنهاء دورة قبل أن يبدأ... ثم طلب منى أن أبحث ذلك الموضوع مع مولوى جلال الدين حقانى, وانه سوف يزورنى فى مرانشاه يوم الخميس أو الجمعة القادم كى يعلم نتيجة البحث.

))))

(فى اليوم التالى (الثلاثاء 3/8) غادرة بشاور متجها الى ميرانشاه فى باص خاص, وكان معى عدد من المدربيين العرب, مع مجاهد أمريكى أسود جاء من شمال أفغانستان ويجيد اللغة الفارسية, الاطباء الجدد تحركوا هم أيضا فى سيارة اسعاف يرافقهم صديقنا القديم المجاهد "درويش" إذا لم تكن هناك مضايقات من نقاط التفتيش فإن السفر على هذا الطريق هو أمر ممتع بالنسبة لى, رغم أن عدد من أصدقائ لايراه كذلك, خاصة عبدالرحمن الذى قرر أن يسافر مع زوجته بالطائرة الى بلدة "بنون" ثم ينتقل بالسيارة الى ميرانشاه وهى مسافة ساعة واحدة فقط, الرحلة كاملة كانت تستغرق ست ساعات, كنت أستمتع بها كامله وأنا أمارس عادة لازمتنى منذ الطفولة المبكرة, وهى الاستمتاع بمناظر الطريق أثناء السفر.

كل ما أراه كنت أظنه جميلا ومدهشا ... وأتساءل عند كل منظر . كيف يعيش الناس فى هذه المنطقة "... البيوت... الطريق... المزارع... المدارس... المساجد... المقابر... الدكاكين ثم أضفت سؤال من نوع آخر فى السنوات الاخيرة. لو أننا نقاتل فى هذه الاماكن ... كيف ستكون المعركة... كنت أرى دوما أننا سنكون فى الجبال... والعدو فى السهول... كما هو الوضع فى أفغانستان... ثم أدير فى رأس سيناريو القتال الوهمى على هذا الأساس...

فكانت مناطق من التى أمام تسعدنى من جانب المعيشة وأرها كابوسا من جانت القتال... ومناطق كانت عكس ذلك... ولا أفيق من هذا كله... إلا عندما يتوقف الباص فى محطته الأخيرة... والبحث فى رأسى لم ينتهى بعد.

فى الخامسة من مساء الخميس (3/10)... جلست مع حقانى فى غرفه الضيوف... وكانت غرفه مستطيله واسعة, مغطله بطبقة من السجاد الازرق الرخيص, كان المساء باردا وممطرا , كان طقسا سيئا ضاعف من إحساسنا بالمتوجس والخطر من تحولات قادمة تنذر بالشر.

بدأت معه بموضوع حكومة أحمد شاه المؤقته, فزودنى بتفاصيل جديدة أدهشنى, فقال أن تلك الحكومة لايوافق عليها أحد وذكر لذلك أسباب مشابهه لما قاله مولوى منصور منذ أيام.

ثم أعطانى قصة داخلية بين قادة المنظمات السبعة أثناء تشكيل الحكومة.

فأثناء اجتماعهم قال خالص أنه بصفته الرئيس الحالى لاتحاد المنظمات فأنه يطالب بأن يكون رئيس الحكومة المؤقته الجديدة, فرفض الستة الباقون محتجين بأن رئيس الحكومة يجب أن يكون من خارج رؤساء المنظمات السبعة, فطلب منهم خالص أن يفوضو إليه مسئولية أختيار رئيس الوزراء, فوافقوه على ذلك, ولكنه طلب منهم تفويضا كتابيا بشهادة المسئولين الباكستانين, ففعلوا.

وفى الجلسة التالية أعلن عليهم إسم رئيس الوزراء الذى إختاره وكان الاسم... جلال الدين حقانى !!... فثار الحاضرون ورفضوا بالاجتماع وقالوا أنت تعلم رأيه وفينا وأنه يتكلم ضدنا فى كل مكان, وأنه اذا تولى رئاسه الحكومة فأول شئ سيفعله هو أن يقدمنا جميعا الى المحاكمة.

غضب خالص وانسحب من الجلسة محتجا عليهم. أما السنة الآخرون فقد جلسوا لأختيار رئيس الوزراء الجديد, فرشح ثلاثة منهم المهندس أحمد شاه, أم الثلاثة الآخرون فقد رشحوا "الملك ظاهر شاة."!!

وانتهت الجلسة بالتعادل ولم يصلوا الى قرار.

عقد جلسة آخيرة حضرها خالص, وحسم المشكلة بأن صوت الى جانب "أحمد شاه" الذى فاز برئاسة الحكومة...

-ثم انتقلنا بالحديث الى دور العلماء فى المرحلة القادمة, واخبرته عن دار بينى وبين مولوى منصور. فقال حقانى بأن العلماء متفرقين وموزعون بين الاحزاب, وأنهم -- إى العلماء-- يخشون الاحزاب لأنها قد تقتلهم إذا تحركوا بشكل مستقل.

ثم استدرك "قائلا بأن الفرصة قد تسنح إذا تم توقيع إتفاقية نيف, وضعفت الاحزاب, فربما تمكن العلماءمن الحركة.
إما الآن فإن قادة المنظمات إذا وجدوا عالما قد إلتف حوله ثلاثة أشخاص فإنهم يقتلونه. ؛يقصد حقانى من هذه المبالغة, تصوير مدى خوف قادة الاحزاب من حركة العلماء ... وتفريقهم عليهم ... واهدار دمهم بسهولة .»
وعن موقف باكستان من المجاهدين فى المرحلة القادمة قال بأن الباكستان قد أبرهم بأن إمدادات السلاح والذخائر سوف تكون قليلة جدا . ؛ ولم تكن مخازن أوجرى قد تم تفجيرها بعد وهذا يدل على أن حجب المساعدات العسكرية عن المجاهدين كان سياسة مقررة حتى ولو لم يتم تفجير مخازن ؛أوجرى a, ولكن التفجير ربما عجل بتنفيذ السياسة وجعل المنع سريعا ومفاجئا.»
كما أن حكومة باكستان لن تضيق على حركة المجاهدين فى المناطق القبلية الملاصقة للحدود فيكنهم الشراء والنقل (مواد غذائية أو عسكرية) وبناء المكاتب حسب قوانين القبائل وهذا يعتمد على حسن علاقتهم بها, أما المراقبة الدولية (على حركة الاسلحة) فلن تتخطى مدينة "بنون."
كما أن الباكستانيين عرضوا عليه مساعدته فى موضوع التدريب وقالوا له : ؛إختر الأرض ونحن نزودك بالمدربين والمعدات.»
واخيرا أبديت له استعدادى للعمل فى مجلته التى يرغب فى إصدارها على اعتبار أن العمل الإعلامى فى المرحلة القادمة سوف تكون له أهمية خاصة -- فقال بأنه مازال يبحث عن الاشخاص المناسبين لذلك العمل -- ثم عرض على أن أعمل فى مكتب الادارية الخاصة بالقوة الجديدة التى يزمع إنشائها, فقلت له أن "أبومعاز" يمكن أن يقوم بذلك لانشغالى فى برنامج العمليات فى بارى.
وفى اليوم التالى عرفته على أبو معاز لأول مرة, وقد ساعده فى عمله لبعض الوقت.
)))))
ذهب مع عبدالرحمن الى سوق ميرانشاه للبحث عن صديقنا القديم ؛عبدالرحمن جربز a. وكان له دكان صغير هناك يعمل فيه مع أخيه.
لم يكن عبدالرحمن متواجدا فتركنا له رساله مع أخيه, وما لبث أن جاءنا الى البيت, وكان لقاءا حارا ... فقد كان عبد الرحمن يعتبر نفسه واحدا من جماعتنا, وكنا فى الحقيقه متعلقون به, فقد كان على جانب كبير من الادب والاخلاق الرفيعه, وكان خجولا ومتواضعا لدرجة كانت تربكنا نحن وتجعلنا فى خشيه من أن نسئ إليه بدون أن ندرى.
ومن حسن حظنا أن مثل هذا الشاب النبيل كان موضع احترام قبليته "جرديز" وخاصة قائدهم الاشهر "مالى خان" الذي كان ايضا صديقا لنا ولكننا كنا نخشى نزواته وأطماعه, وقد حذرنا عبد الرحمن منه وطلب أن يكون هو الواسطه بيننا وبينه, لأن مالى خان اذا علم أن لنا برنامجا كبيرا فى المنطقة وأننا سوف نبقى فيها فترة طويله فربما طلبا منا "إيجارا !!" فالجميع يطمعون فى أموال العرب.
بدأنا أيضا فى جمع بعض الشباب الافغان الذين عملوا معنا فى تجاربنا السابقة فى محاولات تكوين قوة افغانية ثابته.
وبالتدريج بدأنا فى استكمال الاسلحة اللازمة, فقد كان نختزن بعضها منذ عملياتنا السابقه, والبعض الآخر كنا نأخذه تدريجيا من مخازن حقانى, وكنا نستلمها كعهدة, أوقع على استلامها أحيانا وأحيانا أخرى كان عبدالرحمن.
أثناء من الاطباء العرب الجدد دخلا معنا الى بارى لافتتاح نقطة طبية, كنا نعتبرها النقطة الطبية المتقدمة لمشروعنا الطبى الجديد, فلم يعودوا فى حاجة لعبور الحدود للحصول على دواء للأمراض البسيطه, أما وقت المعارك فإن وجود طبيب فى المنطقة يبعث الكثير من الراحة فى نفوس المجاهدين.
الشتاء لم يكن قد رحل بعد, الامطار والسحب المنخفضه تأتى من وقت إلى آخر... فى الليل أو فى النهار... كنا نواصل السير فى المنطقة بحماس وسرعة وفى كافة الاوقات لدراسة وضعنا الحالى, والمواقع الحكومية القديمة والجديدة, وأى عمليات تلغيم إضافية من جانب الحكومة أو المجاهدين, والمجموعات الجديدة أو القديمة المتواجدة حاليا , ودرجة استعدادها وتسليحها, وقادة المجموعات الموجودة, الجيد منهم والمشبوه... أين هم الآن وما هى نشاطاتهم ...

كان ذلك العمل روتينيا بالنسبة لنا لكن ليس الى درجة أنه فقد جاذبيته أو أن حماسنا قد فقر, أو حتى احساسنا بجمال الطبيعة الفاتنه التى حولنا, وقد كستها السحب والامطار ثوبا من الحزن والطهارة.

يوم الأثنين (15 مارس) كتبت هذه الفقرة فى مفكرتى" السحب نزلت فوق رؤوسنا... والامطار متصله ولكنها ليست عنيفه... والرؤية ضعيفه جدا . عند العصر تقدمنا صوب مركز مالى خان, لمعاينة المنطقة... لم نشاهد شئ يذكر لكثرة السحب... لكن المناظر غاية فى الشاعرية.؟!

أما اليوم التالى فقد كان حافلا بأحداث مثيرة, وبالاستنتاجات التى توصلنا اليها, كذلك ظهرت الملامح الاولية للخطة العسكية القادمة.

لم يكن معنا فى ذلك الوقت ساعات شخصية توضح اليوم والتاريخ لذا كنا نسأل بعضنا البعض ونجتهد فى تحديد ذلك, لذا فقد لاحظت أن التأريخ عندى ليس دقيقا.

فلنقرأ وننظر الى احداث هذا اليوم الذى أرجوا أن يكون هو يوم (الثلاثاء 88/3/16):

احظروا السيارة باللاسلكى كى تحضر إلينا... ذهبنا الى نفس مكان الامس ألقينا نظرة على مواقع العدو فوق جبل تورغار والمواقع الجبلية الاخرى على امتداده من الجبهتين, ثم المطار من خلفه... كانت الرؤية ممتازة بعد أن توقف المطر ليلا , المواقع لازالت كما هى منذ ثلاث سنوات.

امكانيات العمل جيدة للغاية بسبب:

(عدم زيادة القوات الحكومية كثيرا عما كانت عليه قبلا.

(وجود حشد كبير من الرجال والسلاح فى "بارى."

-وقررنا التالى: أن تكون العملية الكبية قبل عيد الفطر حيث يتلاشى المجاهدون ويصعب تجميعهم مرة ثانية حتى نهاية العام.

-2الاتصال مع بشاور لاستقدام أم "كركور" جديد (أى رومت كنترول) والاتفاق مع "أبوعبدالله" على العملية الكبيرة, ومستلزماتها المالية والبشرية ؛50 شابا عربى لأقتجام تورغار.»

-3أيضا الذهاب الى ميانشاه لاحضار باقى أفراد "كتيب فتح الله", وهو الاسم الذى أطلقناه على مجموعتنا الافغانية, وبرنامجهم هو التمركز أولا فى "تودة شنى" تمهيدا لقصف المطار ليلا ؛كانت الطائرات تهبط فى الليل إذا وجدت قصفا نهاريا على المطار... ولم يكن هناك عادة أى تفكير فى قصف المطار ليلا.»

-4تكوين مجموعة استطلاع خاصة بجبل "تورغار" بقيادة صديقنا "شفيق."

-5تكوين 5 مجموعات اقتحام من العرب للاستيلاء على تورغار وتكوين تحت إشراف أبوعبيدة (سلطان) بصفته "منسق عام" للعمل فى المنطقة.

وصلت السيارة عند الظهر فصلينا ثم غادرت مع عبدالرحمن, أومعاز, وأحد افراد مجموعتنا الأفغانية وقد ظهرت عليه أراض الملاريا.

عبرت بنا السلسلةالجبلية التى تفصل منطقة بارى عن أول منطقة جربز الملاصقة لمدخل غلام خان, وهو وادى تقطعه مياه السيول أحيانا , ومياه العيون الرقراقه طوال العام, ومع إنتقاء الوادى مع الجبل توجد ساحة واسعة نسبيا تتوسطها دوحة رائعة ضخمة ومستديرة بشكل يصعب أن نتصور أن هذه الاستدارة المتقنه تمت هكذا تلقائيا بدون عناية من يد فنانة يعتنى بها بشكل مستمر.

كنا نطلق على هذه التحفة لقب : "ملكة اشجار بارى" ... وكنا مثل غيرنا من مجموعات المجاهدين, نستلقى تحت ظلالها الوارفه, ونغضوبعض الوقت, خاصة إذا كانت الرحلة سيرا على الاقدام, كان منظرها يغرى بزيارتها والاستلقاء تحتها... بعد أن نهب أو قبل أن نصعد الطريق الملتوى فوق جبل "بارى."

هذه المرة ما أن هبطنا الجبل حتى شاهدنا عدد من سيارات "البا يرو", والتى لايمتطيها إلى عليه القوم, وقد إلتفت حول دوحتنا الحبيبة وملكة الاشجار, لم يكن صعبا علينا أن نتعرض من سحنات هؤلاء "الغلاظ" أنهم ظباط الاستخبارات الباكستانية فى ثياب أفغانية وفى أيديهم خرائط يطالع بعضهم فيها... على الفور غابت البسمة من على وجوهنا -- بالذات العرب منا -- عدد من الشاحنات عبرت مسرعة من خلف الروحة فى طريقها الى أحد الشعاب كى تلتحق بشاحنات أخرى, وشاهدنا قاذف صاروخى متعدد المواسير عيارة كبير من عيار الرجمات الروسية (BM 41) فعلمنا أنها صواريخ صقر المصرية قد وصلت "لتجربتها" ضد مدينة خوست... ؛السرعة التى تتم بها الحركة تنبئ عن قرب عملية الاطلاق«... هكذا كتبت فى مذكرتى - بتصرف - لم نتوقف... بل تابعنا السير وعبرت سيارات هضبه "شاميت" وما أن هبطت الطريق الحاد المتعرج حتى شاهدنا

فى الوادى أسفلنا "مهرجانا " مماثلا للذى تركناه عند "ملكة الاشجار", ولكن هذه المرة شاهدنا سيارة حقانى الضخمة, وعدد كبير من سيارات رجاله تحيط به, وأربع شاحنات المغطاه وحولها عدد من رجل الاستخبارات الباكستاني, نزلنا للسلام على الشيخ حقانى, فى الموقع حوله عدد كبير من الضباط وضباط الصف الباكستانية -- كنا تمييز ذلك سهلا علينا -- لكن أحدهم فاجأنا بأن أخرج كاميرا والتقط لنا صورة ونحن مع حقانى, وآخر اقترب منا على طريقه "المخبرين" وأخذ يلقى الاسئلة علينا, وكان مهتما بأبومعاذ وسأله: هل أنت طبيب؟ لقد شعروا بلاشك بخفاء موقفنا منهم, وعدم رغبتنا فى الحديث أو النظر إليهم, وما لبثنا أن إبتعدنا قليلا وكلنا غيظ من أنهم التقطوا صورة لنا.

سألنى عبدالرحمن بانفعال: هل الكاميرا معك..؟

فأجبته بالاجاب... فأخذ ها منى ثم تقدم صوب الضباط الباكستانيين وأنهال عليهم تصويرا ... ثم تحول -- الى تصوير المعدات والسيارات, فأخذ الضباط يصرخون ويطلبون منه أن يتوقف... وهو لايبالى بهم... جرى بعضهم صوب حقانى يطابون منه التدخل -- وقد علموا أن هؤلاء عرب يعملون مع حقانى -- وقبل أن يتدخل حقانى أغلق عبدالرحمن الكاميرا وعاد نحوى فى هدؤ إستفزازى غريب , كتمت بصعوبة رغبتى فى الضحك رغم أننى بدأت أشعر بالقلق والحرج.

خشيت أن نسبب حرجا لحقانى أيضا ... وشعرت بالقلق لأنى أعرف ولع صديقى عبدالرحمن بالتحدى... ولولا حبه الشديد لحقانى... لاستجاب لفطرته الأصيله المتعلقة بحرب الشوارع.

قبل مغادرتنا المكان إتفقنا مع حقانى على لقاء فى الثامنة من صباح الغد, فى منزله فى ميرانشاه, فقال بأنه سوف يعود بعد صلاة العشاء, بعد إتمام هذا البرنامج.

كان لنا منزلان فى المدينة الى جوار المستشفى الكبير الذى أنشأه حقانى, ويسكن فيه أصدقاؤنا من الاطباء الجدد والقدامى.

البيتان كلاهما يشتركان مع سور المستشفى, لذا فأحدهما يطل على الطريق الواسع الذى تطل على جانبه الآخر مقبرة كبيرة مليئة بالاعلام والرايات التى تزين قبور الشهداء, وكان لنا فيها عدد من الاصدقاء الذين سبقونا الى هناك.

والبيت الأخر يطل على زقاق ضيق جدا متسخ جدا ... وعلى جانبيه شقق طويله تحمل المياه "الملونه" من البوت الى... الشارع الرئيسى »وهو طريق ترابى عل حالته "الخام" ومتسع جدا بشكل يسمح بتكوين بحيرات من الماء المنتن, حتى تتبخر بفعل الشمس أو تحمله مياه السيول التى كثيرا ما تمر من هناك, فتعيد "التوازن البيئ" وتفرض حالته إجبارية من النظافة المؤقته.

ذلك البيت المطل على ذلك الشارع الكبير كان هو مقرنا الأساسى وفى أحد غرفتيه رتبنا ورشه لابأس بها للأعمال الميكانيكية والكهربائية, ومنها خرج الى النور مشاريع تطويريه لصواريخ الكاتيوشا من عيار 107مليمتر كى تتحول على أيدينا وبأفكارنا العبقرية الى صواريخ جديدة مثل "مدبولى 25" و"عوضين إس إس" ولولا ضيق وقتنا لانشغالنا باشياء كثيرة, ثم استشهاد عبدالرحمن بشكل لم نتوقعه, إذن لانفجرت فيها إحدى هذه الصواريخ المبتكرة واستشهدنا سويا فى وقت واحد, وإذن لارتاح الجيمع: العرب والافغان, والسوفييت.

فى حالة عدم وجود مفتاح لقفل الباب, كان يمكن دخول بيتنا عبر سور المستشفى المجاور, لذا لم نندهش عندما دخلنا فوجدنا إبنى وليد داخل البيت فكانت المفاجأة مزدوجة.

كيف دخل البيت... وكيف ترك المعسكر, وكان فى دورة تدريبية عند "أبواسامة" فى معسكر ورسك.

قال وليد أنه قد غادر المعسكر عندما وجد أن كثيرون قد غادوره... ولكونه محرجا منى فإنه لم يقل الحقيقة بوضوح... والحقيقة أنه ومعظم من فى المعسكر لم يستطيعوا أن يتحملوا قسوة التدريب, وقد كان وليد هو أصغرهم سنا ... وقد كان حماسه للدورة طفوليا حتى أنه شارك فى كل حلبات المصارعة والملاكمة... وكان قد تلقى بعض الدروس على أيدى الامريكيين الجدد فى بشاور... ولكن ذلك لم ينفعه كثيرا فقد تناول فى المعسكر ملايحصى من اللكمات والسقطات, ولكنه كان ينهض دوما ويشترك فى صراع جديد.

فأمرته أن يعود بسرعة الى المعسكر حتى يكمل الدورة وكنت أعلم صعوبة ذلك لأن أبوأسامة لن يسمح له ولكننى كنت أرجو على الاقل أن يلتحق بالدورة الثانية.

توجهنا ليلا الى بيت العرب, وسألناهم عن أخبار بشاور فعلمنا أن هناك أضطراب شديد: فمعسكر صدى قد أغلق, والدكتور عبدالله عزام قد القى خطابا فى معسكر ورسك وقال أنه أيضا سوف يغلق بين لحظة وأخرى.

سبب إغلاق معسكر صدى هو أن الشرطة الباكستانية منعت العرب من المرور فى المنطقة المارة بالمعسكر والمؤدية الى " ا ى" فى أفغانستان.
)علمت من حقانى سبب ذلك التصرف من الحكومة الباكستانية وهى أن بعض العرب عف تفتيش أمتعتهم فى الطريق بواسطة أحد نقاط التفتيش فعثروا معهم على قنابل يدوية فأخذوهم الى السجن, وبدأوا يمنعون العرب من المرور -- أما التهديد أو التحزير من أغلاق ورسك, وهو ماحدث بعد وقت قصير, فلم يكن سببه حكومة باكستان بل أنه أغلق بأمر أبوعبدالله والدكتور عبدالله, لأسباب السياسية التى ذكرناها قبلا ... وأهمها هجوم أبو أسامة على القادة والاحزاب الافغانية.
ودعوته للشباب العودة الى بلادهم بعد التدريب »الخ"
ولم يعرف أحد فى بشاور السبب الحقيقى لأغلاق المعسكر فقد ظل ذلك سرا , وقد أخبرنى به أبو أسامه عندما قابلته فى عام لاحق."
أغلاق "صدى" والاغلاق والوشيك "الورسك" ترك شباب بشاور فى تشويش شديد حول مستقبل الجهاد فى أفغانستان وامكانية استمرارهم فى مساعدته مستقبلا فى ضوء تسوية بدت مخفية وذات أنياب ومخالب.
)))
وفى يومنا التالى غادرنا وليد فى الصباح الباكر متوجها إلى بشاور, ومنها الى معسكر ورسك القريب, وتوجهت مع عبدالرحمن الى منزل حقانى, وفى غرفة الضيوف وجدنا مولوى عجب نور, من وزيرستان, وكنا لم نره منذ مده طويله فسألناه عن جماعتهم من المجاهدين بقيادة "سمير جول" و"مولوى عبدالحليم" وغيرهما.
ولم يلبث أن حضر حقانى, وكعادتنا دوما كنا قد أعددنا قائمة أسئلتنا حتى ننتهى حديثنا بسرعة, لكثرة الناس من قادة ورجال قبائل وكلهم منتظر للحديث مع حقانى,,
وقدمنا اسئلتنا بالتتابع وبتركيز... وكذلك كانت إجاباته:
س: هل هناك موعد لاغلاق الحدود؟
ج: لايوجد
س: ماهى اخبار التسوية؟
-فشلت حتى الآن... لكل طرف مازال مصرا على رأيه بالنسبة لتشكيل الحكومة القادمة فى كابل.
س: ماذا بالنسبة لإحضار عائلاتنا للسكن فى ميرانشاه بعد التسوية حتى نتمكن من المشاركة فى الجهاد؟
-سوف نشترى الارض المجاورة لمدرسة منبع الجهاد... اتفقوا انتم وحددوا مطالبكم... وعدد الاسر القادمة.
س: بعد أغلاق طريق ا ى هل يتم أغلاق طريق ميرانشاه؟
-إغلاق طريق ا ى لم يكن قرارا سياسيا ... بل سبب حادث العرب الثلاثة الذين كان بحوزتهم قنابل يدوية.
س: توزعت بنادق القنص (دراجانوف) فى أيدى المجاهدين, بدون أن يتدربوا عليها جيدا , ولايكادون يستخدمونها فى الجبهة, فهل يمكن تجميعها مرة أخرى وتدريبهم عليها, ثم تكليفهم بمهام محددة فى الجبهات"... وهل يمكننا الحصول على بعضها؟
-لايمكن تجميع البنادق مرة أخرى... فقد اعطيناها لأناس لهم أهميتهم كقيادات... وسوف يحزنهم أمر التجميع أو التدريب.
سوف أعطيكم "دراجانوف" قديم, واكتب لكم ورقة للمخازن كى يصرفوا لكم واحدة جيدة.
س: برنامجكم القادم فى خوست هل يشمل الاستيلاء على جبل تورغار؟
-لا بل يشمل طرد القوات الحكومية من جبل "زرمانكى" على ميمنه تورغار.
س: لدينا برنامج للهجوم على تورغارفى شهر رمضان وسوف نتفق على أبوعبدالله على ذلك... فما رأيك؟
-لا مانع... وبرنامجنا سيكون قبل ذلك... ولابد فى عمليتكم من إشراك جميع الاحزاب يمكن المحافظة على الجبل أو تلغيمه بكثافة حتى لايقود إليه الحكومة.
وأثناء الحديث وصل مولوى نصر الله منصور, وعند إنصرافنا طلب منى عدم مغادرة ميرانشاه قبل أن يلقانى حتى نناقش الوقف العام , وافقت على ذلك.
وعند الظهر كان للشيخ منصور اجتماع جماهير حاشد فى الساحة المقابلة للمستشفى الذى نسكن عنده.
وكان يتحدث عن حكومة أحمد شاه وعن التسوية القادمة...
استمر الاجتماع حتى الظهر... ولم نستطيع أن نراه باقى هذا اليوم لانشغاله الشديد وتنقلاته الكثيرة.

ولم اجتمع معه مرة أخرى إلا بعد عدة أشهر عندما زارنى فى منزلى فى إسلام آباد من أجل تعزيتى فى إستشهاد إبنى خ-الد.
)))
اليوم الخميس (3/18) , لم يتصل بنا مولوى منصور, وقبل العصر اتصلنا تلفونيا مع صديقنا "سلطان" فى بشاور كى نخبره عن التجهيزات المطلوبة للعملية ونطلب منه المجئ, لكنه فاجأنا بأن والده عبد الرحمن قد وصلت الى بشاور وتبحث عن إبنها... ولابد أن يضر لرؤيتها... إذن نحن الذين سوف نذهب الى هناك... كان عبد الرحمن يتوقع وصول والدته, ولكن ليس بهذه السرعة فبعد مفاوضات عبر الرسائل, وكان قد رفض السفر الى مصر لانشغاله بالعمل... طلب منها المجئ واعطاها العنوان والتلفونات فى بشاور, وعن طريقها يمكنها الوصول اليه.
كان عبدالرحمن حتى قبل أيام يقيم فى بشاور, ثم انتقل الى ميرانشاه من أجل برنامجنا فى "بارى."
أن "بارى ماتش" المجلة الفرنسية الشهيرة, فقد وصل مراسل لها الى ميرانشاه لمقابلة حقانى, ومن المفروض أن اكون مترجما بينهما.
المراسل فرنسى من أصل تونسى وهو ليس مسلما ... وكان مراسلا عسكريا على جبهات الحرب بين العرق وإيران.
ودار بيننا حديث طويل (بالانجليزية) حول موضوعات عسكرية وكان تركيزه, كما هى عادة الصحفيين الاجانب وقتها, يدور حول صواريخ ستنجر وكأنه يتصور أن كل أفغانى يحمل فى جيبه صاروخ أو اكثر من ذلك النوع.
ولكننى اخبرته أنها نادرة جدا وأننى لم أرها حتى الآن, فقد كان مندهشا.
ثم سألته عن شئ يحيرنى فى الحرب العراف وإيران وهو كيف استطاعت إيران الصمود طول هذه السنوات بدون سلاح جوى لديها...
وكان هو الآخر مندهشا لنفس السبب, لكنه أضاف أن الاغرب أن القوات البرية الايرانية وخاصة المشاه, يقاتلون بشجاعة نادرة, ويقبلون على الموت لا مبالاه.
فأجبته بأن الحافز الدينى فى القتال أهم من الطائرات ومن صواريخ ستنجر, وأن الروس كانوا قد هزموا عمليا فى أفغانستان قبل أن يسمع أحد عن تلك الصواريخ.
وصل حقانى واستمر الحوار الصحفى الى قرب المغرب, وتم استئنافه بعد صلاة العشاء وحتى العاشرة ليلا.
فى الحديث عارض حقانى مايحدث فى نيف, وقال بأن المشكلة الحقيقية هى بين المجاهدين والسوفيي, بينما فى نيف تتفاوض حكومة باكستان مع حكومة كابل, وكلاهما ليس طرفا اصليا فى الحرب.
وقال بأن حكومة كابل الحالية تسببت فى قتل مليون وثلاثمئة ألف أفغانى لذا فلن يقبل أحد استمرارها فى الحكم تحت أى صورة.
وأن الجهاد سوف يستمر حتى خروج الروس (وهو أمرغير مؤكد حتى الآن) وحتى أسقاط الحكومة الشيوعية فى كابل, وبالتالى لن يتمكن المهاجرون (5 ملايين) من العودة الى ديارهم فى ظل القتال والقصف.
وقال بأننا نسمع فى نيف من يطالب بوقف كافة المعونات للمجاهدين, بينما ليس هناك أى مطلب للسوفييت بأن يوقفوا امدادات السلاح لحكومة كابل, ومعنى ذلك أنهم فى نيف يسعون الى تسليم أفغانستان للشيوعيين.
)))))
كان لنا زيارة سريعة الى بشاور واسلام آباد... عبدالرحمن سافر مع والدته بالطائرة الى "بنون" ومنها الى ميرانشاه.
أما "سلطان" فسوف يحضر بعدنا بفترة قصيرة ليشرف بنفسه على التجهيزات المطلوبة للعمليات بصفته أحد أعضاء اللجنة العسكرية وربما كان رئيسا فعليا.
فى طريق العودة احتجزنا نقطة الميليشيا فى "بنون" لمدة نصف ساعة وفتشونا بدقة, وبعد إستعطافات ووساطات سمحوا لنا بالعبور.
فى ميرانشاه وجدنا عبدالرحمن مازال موجودا , وقد انتقل مع زوجته ووالدته الى بيتنا المجاور للمستشفى, فقد اعتقد أن ذلك سيسعد قلبها... فالبيت واسع وله حديقة صغيرة بها بعض الأزهار والخضروات.
لكن زيارة الولدة القادمة من الاسكندرية لولدها الاصغر والمغيم فى مناطق القبائل كانت زيارة غير سعيدة على غير المتوقع.

كانت الام غير مسرورة من بقاء إبنها فى تلك البلاد الغريبة العجيبة وتريده أن يعود معها, ثم هى قد جهزت له عروسا من بنات العائلة وقد صدمها خبر زواجه من أفغانية.
عبدالرحمن بدوره لن يعود الى الاسكندرية قبل أن تجسم القضية الأفغانية عسكريا ... طبعا بمساعدة أبوول-يد الذى هو أنا -- ثم أنه مثل صديقه الحميم لايتوقع فى الاسكندرية سوى السجن والتعذيب وأخيرا حبل المشنقة... فلماذا يذهب أصلا...؟
أما عن زوجته الافغانية فهو بشكل عام سعيد معها... ثم أنه ليس مثل المرأة الأفغانية فى القدرة على تحمل مشاق الحياه مع مجاهد عربى يعيش راهبا فى جبال خوست وناسكا فوق قمم بارى وفى باطن شعبها... ومغاراتها...
وهو قبل مغادرته الاسكندرية رفض فكرة الزواج من بنات العائلة لأنهن غير ملتزمات, وليس ما يدعو الآن لتغيير رأيه.
كانت سبل النقاش مسدوده, رغم حرص عبدالرحمن على إسعاد والدته فى زيارتها التى لاشك أنها لن تكون طويلة.
ولم تفلح محاولات عبدالعليم -- صديقه القاهرى -- فى تطييب خاطر الأم الفاضله.
زاد الطين بله أحداثا غير سارة كدرت خاطر الأم ثم أرعبتها...
ففى الطريق الى ميرانشاه, عند مخرج مدينه بنون لاحظ حراس الميليشيا تلك الملابس العجيبة التى ترتديها أم عبدالرحمن , لاشك أنه غريبه عن المنطقة وأنها تنتمى ألى مجهول من كوكب الأرض, فهى ترتدى "بالطو" أسود اللون, وغطاء رأس "إيشارب" لم يسبق لهم أن رأوا مثله.
فأعادوها من حيث أتت, فعادت مع أبنها وهى فى قمة الغضب من هؤلاء الوحوش عديم الزوق, حاول عبدالرحمن تهدئتها, وقال أن ذلك الحارس قد أخطأ وبعد عدة ساعات سوف يعيدون الكره بعد أن يكون حل محله حارس آخر, وبالفعل تغير الحارس ولكن المأساه تكررت مرة أخرى »وعادا مرة أخرى إلى بنون وقد أسدل الليل سدوله ولابد من قضاء الليل هناك... وليس إلا الفنادق...(!!)
وكانت ليله سوداء على سيدة الاسكندريه, فالسرير ليس إلا قوائم خشبية مشدودة بأحبال الليف, وفرش واغطية ليس لها لون سوى اللون الطينى ذو اللمعات الزيتية التى تحمل رائحة العرق البشرى. أما البراغيث والبعوض وغيرها... فهى من المكونات الرئيسية للجدران والفرش.
كان الوضع عاديا بالنسبة للأبن, لكن الأم التى قضت الليل واقفه لم تترك الفرصه لينام أو ليفسر لها ماتراه...
لكنه اتصل تلفونيا مع مكتب حقانى فى ميرانشاه وبشاور, فارسلوا له "تشادور" نسائى لوالدته, وسيارة " ا يرو" فخمة كى تنقلها الى ميرانشاه وبرفقتها حرس مسلح.
ظن عبدالرحمن أن ذلك الاستعراض لامكانات حقانى سوف تعدل موازينه المختله أمام والدته.
فالسيارة لايركبها وزير فى مصر ,وهذا الحرس من المجاهدين الأقوياء المدججين بالاسلحة الرشاشه وقواذف (آر. بى.جى) قد لايتوفر لمحافظ الاسكندرية شخصيا.
لكن الام على العكس قد انتابها الرعب من اشكال الحرس العابسين فجلست طول الطريق متشبثه بزراع أبنها وقد جحظت عيناها وامتنعت عن الكلام.
وما أن دخلت "الفيلا" فى ميرانشاه حتى أنفجرت فيه صائحة: "من هؤلاء "الحرامية"الذين كنا معهم... لقد علمت الآن أنك تعمل مع عصابة, يرأسها ذلك الرجل الذى ارسل لك السيارة ,المسلحين."
بكت وصاحت على مستقبل أبنها الذى ضاع, فبعد أن تعبت على تعليمه ونشأته, هاهو الآن يعمل مع "عصابه حرامية" فى أفغانستان, وأصرت أنها لن تعود الى الاسكندرية إلا "ورجلها على رجله"-- أى قدما بقدم معه.
تطوع "عبدالعليم" القاهرى لتلطيف الاجواء ... وقد كان لطيفا لبقا ... لكنه لم يفلح فى تهدئتها بقدر ما أعطاها الفرصة كى "تفضفض" عن مكنون نفسه... وباختصار لايعجبها كل ما رأت, حتى هذه "الفيلا" ليست فى نظرها سوى خرابه!!
وزوجة أبنها ليست سوى دابه تسرح فى البيت, وأين هى من بنات الاسكندريه شبيهات البدر فى علاه !! خاصه بنات العائله ذوات المال والجمال... الخ.
(الزيارة عقدت حياة عبدالرحمن وذادت مشاكله المنزليه, ولم يستطيع المكوث معنا فى الجبهة سوى فترات قصيرة.

يعود بعدها مسرعا الى بيته قبل أن يشتعل مابين أمه وزوجته, ومن حسن الحظ أن أحداهما لاتفهم لغة الأخرى.. وإن كانت ملامح الوجه والكلمات التى تخرج هادرة تفضح المشاعر.
حاول عبد الرحمن استرضاء أمه بكل الوسائل المستطاعة, فاشترى لها أفخر مايستطيع من أقمشة وملابس وهدايا لأفراد الاسرة.
ووفر لها أطيب الطعام والفواكه... وأحرز بعض التقدم لولا انتكاسه خطيرة لادخل له فيها »ولكنها كانت القاضية. ففى جلسة عائلية هانئة بعد صلاة العشاء وقد امتدت اطباق الفاكهة واكواب الشاى بين عبدالرحمن وأمه التى تلاعب طفله الصغير الذى أسماه إبراهيم (على إسم خاله) حتى يرضى والدته.
والزوجة الافغانية تبذل جهدها فى الخدمه وأظهار كرم الضيافة الافغانى الاصيل أمام حماتها القادمة من "عربستان مصر", وفاجأة دوت فى الخارج عدة إنفجارات هائلة وسط هدوء الليل الساكن, وعادت أصداء الانفجار بعد انعكاسها على الجبل القريبه كى تضاعف من الضجيج, فصرخت الام مولوله.(
وزادها جزعا أن فلزة كبيرها - عبدالرحمن - قد إلتقط بسرعة رشاشه, وجعبة الذخيرة وضعها بسرعة على كتفه وانطلق خارجا الى الشارع, فقد توقع هجوما مسلحا على مكتب حقانى الواقع الى الجانب الآخر من المستشفى.
طارت زخات من الرصاص فى السماء, ثم تعالت الأصوات هنا وهناك.
ومالبث كل شئ أن صار هادئا كما كان... لقد اطلق بعض المنافقين عدة طلقات من اتجاه المقابر الى اتجاه المستشفى,ولكنهم كانوا بعيدين لدرجة أن القذائف انفجرت في الهواء ولم تصل حتى الى الجرار الخارجى للمستشفى... وانتهى كل شئ كما بدأ... لكن بدأ مشكله فى بيت عبدالرحمن لم تنتهى حتى الصباح.
لقد إرتدت الأم فستانها الاسود, والبالطوا الاسود, والايشارب الاسود, إنه لبس الميدان, لكن ميدان السفر, وليس ميدان الحرب.
وحلفت ألف يمين , وبكل عزيز لديها أنها لن تنام إلا فى الاسكندرية, لقد زالت الغمه من عينها -- كما زعمت -- ورأت كل شئ على حقيقته, لقد أصبح أبنها عضوا فى عصابه خطيره -- يرأسها هذا الرجل ذو الاسم الغريب "حقانى" -- وأن العصابه الاخرى المعاديةل هم هى التى أطلقت قنابل هذه الليله كى تثأر لنفسها فى حرب بين العصابات الاجرامية.
لقد فقد إبنها عقله وقد يفقد حياته... ولكنها سوف تعود الى بلدها.. فلديها بيت وزوج وأبناء فى جاجة إليها... وقد استعاضت الله فى هذا الابن الضال...
كانت ليله طويله وكئيبه لم ينم فيها أحد من أهل البيت... وعند الفجر, طلب عبدالرحمن من أمه أن ترتدى الشادور الافغانى حتى يمكنها عبور نقاط التفتيش, فوافقت عبد الرحمن إلينا فى بارى إلا بعد أن طارت أمه مع أول طائره فى اتجاه الاسكندريه...
لقد اعتبرت الام أن ولدها قد مات وأنه لن يعود إليها مرة أخرى »وشعر عبدالرحمن أن أفغانستان قد أخذته بعيدا أوسع مما كان يعتقد... وأن العودة مستحيله...
لقد عمل سابقا فى مراكب الصيد... ومازال يذكر ذلك المنظر الحزين لسفينه تمخر أمواج البحر بينما الشاطئ يتضاءل بالتدريج ولا أحد متيقن أنه سيعود مره أخرى الى تلك البيوت التى ضاعت ملامحها فوق شاطئ يختفى تدريجيا خلف أمواج البحر الرماديه هل يعود المركب بالاسماك والربح الوفير... أم يختفى مع رجاله فى أعماق البحر المظلم... لا أحد يدرى...
((((
فى التاسعة عصرا توجهنا فى سيارة من ميرانشاه الى بارى... كان معى عبدالرحمن وثلاثه آخرين من العرب, وأيضا شفيق المدنى, الذى أصبح عضوا رئيسيا فى الفريق... سمعنا أشاعه عن هجوم للمجاهدين على أحد المواقع الحكوميه فى بارى واستلائهم عليه, وأن مولو فضل الرحمن أمير جماعة المجاهدين الباكستانية يجهز رجاله للهجوم على جبل رغبلى - شمال اور فى الطريق الى مانى كاندو -- فتركت رساله خطية مع أبو معاذ أطلب فيها من أبو عبيده أن تشترك مجموعاتنا الهجومية فى ذلك المشروع كنوع من التدريب, وعلى أساس أن يشترك معنا رجال فضل الرحمن فى مشروعنا الهجومى القادم... فهم بشكل عام أفضل إنضباطا من الأفغان.
فى الليل وصلنا الى مركزنا فى تودة شنى على جدول الماء وفى مقابل صخرة ضخمة أسفل الجبل عند إنحناء الوادى... كان موقعا ممتازا كمعسكر خلفى, ونقطه حراسه تتحكم فىمفرق طرق ذو أربعة شعب.

كانت مجموعة من قبيله جربز قد عسكرت معنا فى نفس الموقع يقودها صديقنا القديم"محمد أمين" وهو زميل عبدالرحمن جربز.
أخبرنا أمين أن الحكومة الباكستانية قد أمدتهم بقاذف صاروخى عيار 122 مليمتر مع قذائف كثيرة... ولكن الحكومة الباكستانية أصدرت أوامرها (!) بعدم استخدام تلك الصواريخ ضد المطار.
فهمت على الفور أننا لن نستطيع نحن أيضا العمل ضد المطار حتى باستخدام الصواريخ الصغيرة القديمة من عيار 107 مليمتر.
وفهمت لماذا كانوا يعرقلون فى السنوات الماضية عملنا ضد المطار, وأننا منذ برنامجنا الناجح فى عام 85 لم نستطع تكرار التجره رغم التقدم الكبير فى إمكاناتنا, فالمنطقة -- بشكل غامض -- مغلقه فى وجوهنا... خاصه من جهه المطار.
وتأكد عندى وقتها -- مادامت باكستان تصدر أوامرها حتى مستوى قادة صغار مثل محمد أمين فهى قادرة على فتح طريق زدران أمام السوفييت فعلى جانبى الطريق قادة على نفس المستوى.
وكتبت فى ذيل مذكرتى لذلك اليوم (الجمعة 25 مارس 88:(
مشروعنا كله يسير عكس التيار... معنويا الاستعداد موجود للاستمرار حتى النهاية وتكون أمر واقع...
فى الايام التالية استخدم المجاهدون صواريخ "صقر" فى قصف المدينه حسب أوامر وبرنامج اعدته المخابرات الباكستانية, ومن موقعنا فى "توده شنى" كان الترتيب أن تأتى مجموعة كل 15 يوما ومعهم 50 صاروخا يطلقونها على المدينه كما يتراءى لهم خلال هذه المدة.
طبعا لم تكن أى مجموعة تطلق كل تلك الكمية, بل كانت "تختصر" جزءا كى تبيعه لتجار السلاح, ولكن موقعنا المحبب فى توده شنى أصبح هدفا عسكريا لقوات الحكومة, فالهاونات الثقيله من فوق تورغار جعلته هدافا دائما على مدار الساعة, واستطاع الطيران اصابة الموقع بعده قاذف الصاروخى, ولكن انحناءه الوادى منعت من اصابته, ولكن نتيجه عن القصف بركتان زرقاوان استفاد منها العرب والافغان فى السباحة وغسل الملابس.
أصبح المكان خطر جدا علينا, وكنا نبيت فى خيام فى شعب ضيق لم يوفر لنا حماية تذكر, فكانت قذائف الهاون ليلا تتساقط قرب من رؤوس الخيام على جانبى الشعب الضيق.فتحركنا غربا فى شعب جديد وعلى مسافه كيلومتر تقريبا , وكانت الجبال حولنا مكسوة بشجيرات كثيرة من ذلك النوع المشهور فى بارى.
كان المكان وفير المياه, ويصعب اكتشافه من الطيران, ولما كان لا نستخدمه, فى الرماية فقد ظل مجهولا تماما لدى العدو... ولكن الى ذلك اليوم الذى جاءتنا فيه زيارة مشئومه من تلك التى أعرفها جيدا ... أناس من أهل المنطقة عبروا الهضبه المشجرة التى أمامنا... وهم يتلفتون فى كل اتجاه... ثم سار كل شئ كما توقعت... أرسلنا اليهم اثنان من الشباب الافغانى الذين معنا لسؤالهم عن هويتهم ووجهتهم... فقالوا أنهم من أهل المنطقة وهم فى طريقهم الى مركز مالى خان...
ولم يكن فى وسعنا أن نفعل أكثر من ذلك لأن اى تحقيق لن يسفر إلا عن توتر مع أهالى المنطقة ومالى خان, والذى يحدث إما أنهم جواسيس من أهل المنطقة, أو جواسيس من خارج المنطقة, وسوف يفهم أهل المنطقة ذلك ولكن لن يخبروننا بالحقيقة بل سوف يصحبون هؤلاء الى مكان بعيد حيث يجرى التفاهم معهم حول المكافأة المطلوبه لقاء إنقاذهم من الموت.
كنا قد قضينا حوالى اسبوعين فى المنطقة وكان عدد العرب معنا غير عادى بالنسبة للمنطقة, وقد وصل الخبر حتما الى الحكومة, وكان لابد أن تحدد موقعنا على الخريطة حتى تعمل على قتلنا بالوسائل المناسبه, ولما كنا قد غادرنا موقع توده شنى الى مكان لم تسكنها لعفاريت بعد, فكان لابد من إرسال اشخاص لتقليب احجار المنطقة بحثا عنا.. كنت اتوقع ذلك إلى أن رأيتهم فعرفتهم فورا ... لكن ما فائدة ذلك...
لقد وصلت الطائرات فى الغد, وقصفت الشعب الطويل من بدايته عند المدخل, وحتى قبل خيامنا بمئتى متر.
واصلوا العمل يوميا , ولكن رمايات الهاونات الثقيله من تورغار فاجأنا عده مرات بقذائف دقيقه للغاية... سقطت واحده منها على بعد أمتار قليله منى, وكنت نائما تحت شجره, ونظرت الى حيث الدخان والاتربه, فكان يجلس فيه "عبدالرحمن جربز" فنهضت مذعورا أبحث عنه... ولحسن الحظ أنه كان انتقل من مكانه قبل لحظات فقط من سقوط القذيفه...

وجدنا حولنا فيما بعد لغم فراشه واحد... ولكننا لم نبحث عن مزيد... ونوع من قنابل الطائرات لم نره فى أى مناسبه أخرى, ذو قطر حوالى بوصه واحده وطوله حوالى ثمانى بوصات, والقنبله مجنحة وذات مظهر رشيق وجميل وكأنها شحنه فنيه... جمعنا عدد منها من فوق مدق السير ثم فجرناها فيما بعد.
تخلينا مرة اخرى عن مشروع قصف المطار عندما شعرنا بأن ذلك قد يسبب توترا مع مجموعات المنطقه التى تلقت أوامر من باكستان بعدم التعرض للمطار بصواريخ صقر.
لكننا انهمكنا بنشاط بالغ فى استطاع المنطقة حول جبل "تورغار" لتحديد انواع ومواضع الاسلحة المطلوبه للعمل, وأجلنا مؤقتا استطلاع الجبل نفسه حتى وصول جماعه منان من الذين لهم خبرة فى صعود الجبل من جوانب مختلفه, وبالتالى معرفه بحدود حقول الألغام وهى مشكله الاخطر فى العلمليه كلها.
استطلاع الجبل نفسه كان يهدف تحديد مسارات الهجوم, وفتح ثغرات فى الالغام... أو البحث عن مسارات من خلف الجبل تكون خالية من اللغام... أو امكانية العثور على ثغره فى الجبهة الامامية المواجهه لنا وتكون خاليه من الالغام...
كان أهم تغيير فى المنطقة هو احتلال القوات الحكومية لجبل" زرمانكى" الى الغرب من تورغار... واضاف ذلك مزيد من الحماية والمنعه لتورغار. فالطرف الغربى هو أقصر الطرق الى اعلى قمة فى الجبل, حيث أقوى المواقع الدفاعية مع دبابه الى شرق القمه...
ينخفض سطح الجبل قليلا ويمتد جهة الشرق لحوالى 300 متر, ظننا أنها لاتحوى سوى خنادق ارتباط, وفى أقصى الشرق موقع واحد قوى وحوله عده مواقع ثانويه.
وضعنا تصور أولى للمدفعية المطلوبه ومواقعها... وكان تركيزنا الاساسى على هاون عيار 82 مليمتر أو عدد المدافع عديمة الارتداد من نفس العيار.
وكان فى المنطقة عدد من الرشاشات الثقيلة عيار 20 مليمتر, ومدافع جبليه عيار 76 مليمتر, وكان لدى جماعة "داد مير" النصيب الوافر من هذا كله... فوطدنا علاقتنا معهم وكان فى أحد الاعماق الجبلية السحيقه فى جنوبنا الشرقى... كانوا تنظيميا من جماعة "سيد احمد جيلانى". كانت المجموعة التى وجدناها هناك, وغياة الطيبه ودماثه الخلق, ورحبوا بنا بحرارة... فكررنا الزيارة ودفعنا جماعتنا من العرب فى دوريات متتابعة لزيارة موقعهم والتعرف على الاسلحة هناك, ثم اتفقنا معهم على تدريب أفرادنا على الرشاشات الثقيلة والمدافع التى لديهم فرحبوا كثيرا ... مخصصنا أحد عناصرنا العربية للارتباط بهم والاشراف على تدريب شبابنا عندهم.
وكان المسئول هو أبوآمنه الجزائرى, ثم قمنا بعمليه جس نبض لمجموعة "داد مير" من ناحية استعدادهم أن نعمل سويا فى عملية مشتركة على مواقع العدو فوق الجبال -- فوافقوا بلا تردد... ولم نخبرهم بنوايانا تجاه "تورغار."
كانت عملية "حقانى" المرتقبه على "زرمانكى" تمهيدا جيدا لنجاح برنامجنا ضد تورغار... وقدرت أن عمليتنا قد تتأخر الى منتصف شهر رمضان... ولكن اذا نجحت عمليه حقانى, وحققنا نحن تفاهما جيدا مع مجموعه "داد مير", أما مجمرعة "عبدالمنان" البدوية فهم جزء متمم لنا عضويا فى المنطقة, فإن الحماس المتولده عن ذلك سوف تبقى المجاهدين فى مواقعهم ونتمكن من اتمام البرنامج قبل عيد الفطر.
كان مجموعتنا العربية انهمكت بحماس فى نشاطات متنوعه تمهيدا للعمليه التى يعرفون جوهرها وهو الاستيلاء على تورغار, أما زملائنا الافغان فى نفس المجموعه فلم يعرفوا شيئا عن هذه النيه سوى أننا نجهز مواقع لضرب تورغار بالهاونات.
ولكننى على انفراد مع عبدالرحمن كنا نناقش الخطوة التالية فيما اذا نجحنا فى الامساك بالجبل.
وكنا نفكر كما يلى:
-1فور الاستيلاء على الجبل نترك أمر الدفاع عنه لمجموعة " منان" وقد أبدى استعداده لهذا العمل فى وقت سابق... وهو قادر عليه, بل هو أفضل من يقوم به من بين الافغان.
-2ننقل هجومنا العربى, بدعم من الافغان المتوفرين فى اتجاه المطار مباشرة ومن أقصر الطرق... وكنا نضع فى الاعتبار التأثير النفسى السئ لسقوط تورغار فى نفسيه قوات العدو. كما أن الموقع المسيطر لذلك الجبل يؤهله لتقديم الدعم المدفعى اللازم لتحركنا التالى.

-3عند الوصول الى المطار ننتشر فى المنطقة الزراعية كثيفة الاشجار على حافته الشمالية ونهاجم من هناك قلعه " تخته بك"-- ولم نكن نعرف أسمها آنذاك -- وكانت معلوماتنا واشارات الخرائط الافغانية تشير الى أنها مقر القيادة العسكرية والمدنية وتبعد ثلاثة كيلومترات -- هوانيه -- من مدرج المطار.
-4إنتقالنا الى المطار سينقل المعركة الى مركز المدينة ويضع أى مركز عسكرى متبقى فوق الجبال من خلفنا فى مواقع محاصرة, خاصة وأن الاستيلاء على تورغار سيتم من خلال هجوم واسع بالمدفعية على خط الاول للعدو فى الجبل على امتداد تورغار الى جهة الشرق.
-5هذا الانتقال السريع المفاجئ سوف يشجع المجاهدين على الهجوم على المواقع الحكومية المواجهه لهم -- بدافع احراز الغنائم -- فى أجواء إنهيار وارتباك القوات الحكومية.
-6اذا امكننا تحريك الدبابه التى فوق تورغار فنزلنا من فوق الجبل ونستخدمها فى هجومنا جهة المطار.
-7نجهز راجمه صواريخ "B.M.12 " فوق سيارة, ونجهز لها فى مكان متقدم حوالى مئة صاورخ, تتقدم السيارة الى أقصى نقطة ممكنه وتفرغ حمولتنا على منشئات المطار على الحفة الشمالية أساسا وهو التى لم تكن تطلها صواريخنا سابقا ... وضرب تلك المنشآت ذو فائدتين الأول هو تعطيل المطار عن العمل أطول مده ممكنه, والثانى هو تسهيل هجومنا عليه.
وهذه الفقره قائمه بذاتها تتم حتى ولو لم يتم تطوير الهجوم الى ما وراء تورغار كما ذكرنا.
اذن كنا سنبدأ البرنامج مع المجموعات المتعاونه معنا على أنه هجوم مدفعى على خط الدفاع الجبلى عن خوست, ثم فى خضم القصف الذى ركزنا نحن فيه قدرة غير عادية من النيران فوق تورغار نهاجمه بسرعه... ثم ننزل الى المدينه فى اتجاه المطار ثم نهاجم مركز المدينه...
وكانت "المغامره" على نقطتين:
-1ان يؤدى سقوط تورغار وهجومنا المفاجئ الى المطار الى حاله إرتباك شديد, فإنهيار فى قوات العدو ذات المعنوات المنخفضه.
-2قوات المجاهدين المنهمكه فى قصف مدفعى, تتحول الى تقدم للاستيلاء على المواقع الحكوميه وسلب اسلحتها وغنائمهم.
والمجموعات الخامده سوف تكون حاضره بسرعه البرق لنهب الغنائم كما هى العادة... وفى ذلك فائده لأنهم سيتوجهون الى المحاور البعيده التى لم يشملها هجومنا نحن أو مجموعات القصق المدفعى من أصدقائنا فتتسع رقعه الخلل أمام القوات الشيوعية.وسوف نرى الاتفاق الجوهرى بين " مغاوتنا" تلك وبين الخطة التى طبقها حقانى, عقد قتح خوست فى مارس 1991. حتى أنه فى البداية اختار نفس المحور للتقدم من تورغار الى المطار من جهه الطرف الغربى لجبل تورغار لكن ضياع عنصر المفاجأه منعه من استخدام ذلك الطريق, فاستبدل به محورا آخر... شكل وقتها مفاجأة لم تكن متوقعه. وسنرى ذلك فى موعده. لكنه اتجه ايضا الى المطار فقلعه "تخته بك" ثم باقى المدينه... واستغرقت رحلته تلك خمسه عشر يوما فقط!) .
)))))
ولنعد إلى جوله أخرى الى أوراق المذكرة التى كنت أحملها فى جيبى فى تلك الايام
اليوم الجمعة السابع مع ابريل 1988:
من وقت مبكر خرجت فى داورية مع شفيق وصخرى وأبو محجن اليمنى بهدف اختيار أماكن لحفر مغارات لتخزين الذخائر فى مكان مناسب للعمليات, خاصه ذخائر الاسلحة الثقيله... رشحنا ماكنين وتقدمنا صوب تورغار علي وجل من الالغام ورشحنا أمكنه للراجمه فى عمليتها ضد المطار... وبما احتجناها فى رمايات على أهداف خلف تورغار خاصه موقع "شهيد كلى" وهو قرية تستخدم قاعده ادارية لتورغار وبها بطارية مدافع جبليه عيار, 76 مليمتر ؛حسب معلوماتنا وقتها.»
قررنا الى نسافر عصرا الى ميرانشاه لاستعجال ؛سلطان« لتجهيز متطلبات الحمله... لكن قبل وقت الرحيل نزل علينا وفد كبير من العرب -- وعددهم عشرة... من بينهم عبدالحمن الذى غاب عنا فترة طويله فقد ودع والدته الى عادت الى مصر بعد رحلتها العصفه والمخيبه للآمال, عبد العليم ؛القاهرى« عاد معها مرافقا ولكنه هذه المرة يحمل واحدا من مشاريعه الخياليه, أنها مجله باسم "الجهاد العالمى" - !! - ويطلب من الكتابه فيها... وبعد ساعات من الالحاح من جانبه والتخلص من جانبى أخلى سبيلى فى مقابل اعطائه رساله الى عائلتى فى إسلام آباد لاعطائه ارشيف مقالاتى القديمة كى يأخذ منها ما يناسبه.

ألغينا السفر الى ميرانشاه وجلسنا نستمع أخبار القادمين. فى الجزء الأول من اليل جلست فى الحراسه مع عبدالرحمن وشفيق وصخرى لتقسيم الشباب الى مجموعات ويوجهم فى دوريات للتعرف على المنطقه.

السبت 8 أبريل:
بدأنا الحركة فى الثامنه صباحا تقدمت مع عبدالعليم مقدمه الركب سيرا على الاقدام... تكلمنا فى موضوعات مختلفه منها أحضار العائلات الى داخل أفغانستان لفترة محدودة حتى يتعودوا على أجوائها فقد نكون مضطرين للبقاء فيها إذا أردنا الاستمرار فى الجهاد فلا أحد يدرى موقف حكومه باكستان منا... وقد لا تتركنا نعيش حتى فى ميرانشاه, فى الطريق قابلنا قافله من العرب والافغان تحمل أمتعه لنا... كنا فى الطريق الى مركز خلف رئيس للكومندان "مالى خان" الطريق يمكن تمهيده للسيارات, وذلك يساعد عملنا كثيرا ،فقررنا إدراج ذلك فى برنامجنا, ومن هذا الطريق يمكن ربطه بفرع يصل الى مركز داد مير, واذا تم ذلك سوف تكون المراكز الرئيسيه الهامه مرتبطه ببعضها, وتصل سيارتها بسهوله الى خطوطنا الأول فى المعركة القادمة... أثارتنا الفكرة... وقررنا المضى فيها فى أقرب وقت... بعد استشارة " مالى خان" وجماعه "داد مير "... أما حقانى فنعرف سلفا أنه سيرحب جدا بالفكرة.
بعد فترة استراحه فى مركز مالى خان استئنفنا المسير الطويل الى مركز "عيد جول; وكان أبوعبيده (سلطان) قد أرسل مجموعه من العرب الى هناك تحت قياده "أبوحنفى" وشهرته "الونش."
وكان ماذكره لنا أبوعبيده نفسه عن هذا الشخص أثارت فى نفوسنا الريبه منه... فتجنبنا لقاءه... وساءنا أن يضع سلطان مثل ذلك الشخص فى مكان حساس مثل هذا يمكنه من رصد كل الحركه فى بارى!!. والغريب أنه لم يخبرنا بتلك المجموعه ولامهمتها, ولم يستشيرنا في شخصيته قائدها... إلخ... وفى الواقع أن كل من أرسلهم أبوعبيده الينا كانوا مزودين بأوامر تفصيليه تجعل قيادتنا لهم أمرا صعبا ومربكا لنا ولهم... فسوف يصبح لكل منهم اميرين يتلقى منهما الأوامر... وكان أرسال الأشخاص وسحبهم من عندنا يتم بدون اطار مسبق لى أو لعبد الرحمن, وعلى عكس اتفاقنا السابق الذى كان يقضى بعدم تحريك أى عربى من الجبهة إلا بعد نهاية العملية.
وجدنا صديقنا سلطان عند مديرنا الأدارى أبومعاز... تكلمنا قليلا وشعرنا بجفاء غير عادى من سلطان على عكس طبيعه المرحة... واستنتجت وقتها أنه غير مرتاح للتعامل معنا فى تلك العملية... فقررت فى نفس أن أطلب منه قبل عودتنا أن يعين أميرا جديدا للعرب فى بارى... ويعفينى أنا وعبدالرحمن... وأننا ستستمر فى مساعدة ذلك الأمير إذا رغب هو فى ذلك.
حددنا تلفونيا موعدا للقاء مع حقانى صباح الغد.

الاحد التاسع من ابريل 1988:
وصلنا بيت حقانى قبل الثامنه صباحا وتحدثنا معه فى الوضع السياسى الحالى وبعد أخبار الصحف التى قالت أن التوقيع على اتفاقيه نيف سوف يتم يوم الجمعة القادم. وسألنا أيضا عن وضع العمليات العسكرية حاليا ... وموقف حكومه الباكستان بعد التوقيع, وإمدادات السلاح.
قال الشيخ حقانى: لم نبلغ بأى تغيير فى موقف باكستان.
وأحمد شاه مسعود طلب مقابلتى وسوف نحاول ترتيب ذلك.
فعرضت عليه أن يرسل اليه رساله عن طريقنا إذا لم يكن لديه اتصال مباشر معه, فقال أنه سيفعل ذلك عن طريق مكتب مسعود فى بشاور وخطر فى ذهنى وقتها أن مسعود يريد أن يرتب مع حقانى عمليات عسكرية مشتركه وبالتالي فإن أفضل محور للعمل العسكرى أما العرب سوف يكون مع ذلك التحالف بين مسعود وحقانى كأفضل قادة عسكريين فى داخل أفغانستان (حسب تقديرى .(
أما قنبلة الجلسه فكانت حين قال بأنه سوف يسافر خلال أيام الى سرانا لأن بعض أقوام منطقة "مانى" الواقعه بين "سرانا" و"أورجون" و"شمل" هؤلاء قد استلموا اسلحة وأموال من الحكومة الشيوعية واعلنوا إنضمامهم لها, وأنه أرسل إليهم من ينزع سلاحهم.
وقال بأنه لابد من تقويه "سرانا" ومراكز طريق زدران قبل التشديد على خوست.

؛ كان يريد أذن تأمين وضع القبائل واحكام طريق زدران حتى يضمن عدم قيام القوات الشيوعية بعمليه امداد يريد لمدينه خوست خاصه إذا شدد المجاهدون ضرباتهم عليها وهددوها بالاجتياح.»
كان تفكير معقوله... ولكن مشروعنا إهتز قليلا , وقال عن عملنا بأن المحافظه على الجبل الهامه مثل تورغار مشكله تتعبه كثيرا لأن المجاهدين غير مطيعين ولايبقون طويلا فى المواقع.
قال حقانى أيضا : طريقه القتال الحالية سوف تستمر فى المرحله القادمه أيضا ؛كانت بعض الأوساط تروج بأن مرحله التسويه وعودة المهاجرين والمشاركه فى السلطه بين احزاب بشاور وحكومه كابول تجعل الشكل القام للقتال هو عمليات الاغتيال لرموز الشيوعيه فى البلاد والقضاء علىهم بدون حرب مكشوفه... وأظن أن مصادر ذلك السيناريو هو المخابرات الامريكية... وكنت قد سمعت شيئا مثل ذلك منذ عامين من مصادر باكستانية حكوميه خاصه مركز الدراسات الاستراتيجية فى إسلام آباد خلال بعض محاضراته ونشراته.»
-وعن عودة ؛ظاهر شاه« الى البلاد قال بأنها إذا حدثت فسوف تشق صفوف المجاهدين هناك ثلاثة منظمات تؤيد الملك علنا أما عودة المهاجرين فهى غير ممكنه طالما القتال مستمر.
-لايمكن للسوفييت أن يوقفوا امداداتهم العسكرية لحكومة كابل, وإلا فإنها ستنهاز حتما.
-ليس لدينا معلومات كافيه عن القوة العسكرية فى خوست.
-حكومة باكستان تطلب من المجاهدين تحرير خوست واتخاذها قادعده لهم.
ملاحظه: هذه بالتحديد وجهه نظر ضياء الحق, وقد ناقشنا ذلك قبلا ...

(كان سلطان حاظرا ذلك اللقاء مع حقانى, وبعد عودتنا إستأنفنا مناقشه الموقف العام وعمليتنا القادمه, وأظهر "سلطان" تغيرا ملحوظا فقد أبدى تشككا فى عمليتنا وجدواها... وجزرنى سلطان من خسارة تلك العملية لأن الكلام ضدى سوف ؛يزيد« وتساءل عن ضمانات نجاح العمليه.
أحسست أن هناك حمله جديده ضدى وضد العمليه فى أوساط بشاور ذلك قد أثر فى أبوعبيده , فانعكس على طريقه تعامله معى ومع عبدالرحمن... فطلبت منه أن يعين أميرا جديدا للعملية وللعرب فى بارى... فوافق بلا تردد, فتأكدت ظنونى.
(الشئ الذى لم نكن ندركه أثناء ذلك النقاش الكئيب هو أن مخازن الزخيره فى أوجرى كامب بدأت تنفجر... فى واحه من ابرز مصائب هذا العام.

الأثنين العاشر من أبريل 1988:
قضيت شطرا من اليل اتكلم مع عبدالرحمن فى التطورات الجديدة...
فتحرك القبائل من منطقه "مانى" يؤثر على برنامجنا ولكنه لايمنعه... وقد حدثت أشياء مثل هذه قبلا وقضى عليها... ربما ظن هؤلاء أن حقانى أصبح ضعيفا بعد معركة زدران... ولكنه قادر على اثبات العكس فما زالت قواته سليمه وفى حاجة لأن تثبت جدرانها بعد هزيمه الشتاء الماضى.
لكن المشكله الاكبر نظرنا هو تبدل موقف ابوعبيده -- وبالطبع اللجنه العسكرية فى بشاور... ويبدو أن نفوذ اتباع سياف مازال قويا حتى فى ظل الترتيبات الاخيره التى حملت "ابوعبدالله" الى زعامه العرب, فرصه تدمير القوات السوفيتيه فى طريق زدران وهاهم الآن يضيعون فرصه فتح خوست قبل انسحاب السوفييت من البلاد... وحتى لولم تؤدى العمليه الى فتح المدينه فإن الاستيلاء على تورغار وتهديد المطار بشكل دائم , واضعاف خط الدفاع الجنوبى للمدينه. تعتبر انتصارا لاشك فيه خاصه وأن العالم كله يحفظ اسم خوست ويعطيها من الاهمية اكثر مما للعاصمه كابل, وذلك بعد الحمله الاعلاميه المصطنعه والتى رافقت حمله زدران.
ثم اتفقنا على ترك قياده العمليه لأى شخص تعينه لجنه بشاور العسكرية, فذلك أفضل من حيث أخلاص النيه لله فى العمل.
ولكن فى هذه الحاله فإن تنفيذ برنامج كبير مثل الهجوم على تورغار -- بدون تطويره بعد ذلك -- يعتبر عملا خطيرا للغاية بالنسبه للعرب هنا... فالعمليه كلها تعتمد على صلاتنا القديمه مع المجموعات والقيادة فى المنطقه... وتحريك هؤلاء بدون تلك الخلفيه أمر صعب... فليسوا جميعا على نفس الدرجه من الجديه... فهناك مجموعات لن تتحرك إلا لسرقه الغنائم.

وبعضها سيشارك رمزيا ... وهكذا... حتى يصل الى المجموعات التى يمكنها أن تقتحم الجبل معنا... ثم تتمسك به... أو تطور الهجوم فى اتجاه المطار...
وأن العرب لو هزموا فى تلك الموقعه... حتى بعد ابتعادنا على القياده فسوف يحملوننا مسؤوليه برنامج فاشل ورطناهم فيه ثم خرجنا.
وبالفعل... جلسنا صباحا مع "أبوعبيده... وطلبت منه مع تعيين أمير جديد, أن يقتصر... ومن الآن على الاعداد لبرنامج ازعاجى فى منطقه بارى والتخلى عن العمليه الكبيره.
فابتسم سلطان ابتسامه المنتصر وسألنى: هل أنت خائف من العمليات؟
فقلت له أننى غير خائف من العمليات... ولكن العرب غير مستعدين لقبول عمليات أضرب واهرب ؛أقصد أنهم مغرمون بالمعارك الجبهويه والدفاع عن مواقع ثابته كما حدث فى معركه ا ى ة. كذلك فالعرب لن يتحملوا اى هزيمه لافتقارهم الى الاستمرار أو القدرة على الاستفاده من الاخطاء.
الغريب أننا كنا على مسافه زمنيه قدرها عام واحد تفصلنا عن اكبر هزيمه لقيها العرب فى أفغانستان... فى معركه جلال آباد التى كلفتهم 300 قتيل على الاقل.
أظهر سلطان بعض الليونه بعد جفائه السابق... وقال: استمروا فى عملكم حتى اشاور اللجنه العسكريه, ونأتى بأمير جديد.
غادرنا مكتب العرب... وصلتنا صحيفه اليوم فإذا بها حافله بأخبار معسكر أوجرى وانفجاراته الرهيبه, وانباء عن مئات من القتلى والجرحى فى إسلام آباد وروالبندى... شعرت بالقلق على عائلتى وفكرت فى السفر للإطمئنان عليهم » ثم عدلت عن الفكره على اعتبار أن ماحدث قد حدث وانتهى الامر وان ذهابى مثل عدمه لن يغير شيئا ... ودعوت الله أن يسلم.
كانت حالتى المعنويه سيئه جدا ... ورأيت أن كل شئ يسير على عكس ما أتمنى... وأن الاسوأ هو الذى يحدث دوما وتتالت أحداث صغيره وكبيره كى تدفعنى قدما نحو المزيد من الكآبه.
هاهو أبومعاز جالس مع صديقنا عبدالعزيز ليفسر له -- كعادته -- رؤيا رآها بالامس... فكانت كابوسا مليئا بالنزر.
سيارتنا غادرت الى بارى بدون أن تأخذنا معها... ربما ظن السائق أننا باقون فى ميرانشاه هذا اليوم.
استأجرت سياره مع عبدالرحمن كى تأخذنا الى " توده شنى"... كدت أن أتفاءل لأن السئق نعيم... ولكن ماهى إلا دقائق حتى تشاجر نعيم مع سائق سياره أخرى ضايقه أثناء السير. نزل نعيم كى يستخدم العنف ضد السائق الآخر لكنه عاد إلينا وأنفه يسيل بالدم... وأراد أن يأخذ أحدى بنادقنا كى يقتل بها غريمة.!!
منعناه بصعوبه وعاوننا بعض أولاد الحلال فى فض الاشتباك ثم واصلنا المسيره والجميع متوترون.
كانت "توده شنى" بعيده جدا هذه المره... الطريق سيئ وقصف شديد هناك... لذا أوقف نعيم سيارته وطالبنا بإكمال الطريق على أرجلنا... ففعلنا صاغرين.
وصلنا مركزنا فى مقابل الصخرة السوداء على مفرق أربعه تفرعات للوادى الضيق الجميل... لكن لا أثر لهذا الجمال الآن لقد أقبل الليل... ونحن منهكون نفسيا وجسمانيا ... وهاهو أخينا " محمد أمين" قد أطلق صاورخين على المدينه فبدأت هاونات تورغار, ومعها عده مدافع من المدينه تدك مكاننا بدقه مقرفه... تسللنا الى الشعب الجانبى حيث لنا خيمتان, ارتميت على ارض بدون غطاء... وصليت المغرب والعشاء جمعا وقصرا ... وتمددت على الارض بدون غطاء... وقذائف الهاون ترقص حول خيرتنا فى شكل دائرى... لم أبالى بشئ من ذلك وضعت فى غياهب النوم... استيقظت مذعورا بعد منتصف الليل... فقد توقف القصف فجأه... فسألت الحارس خارج الخيمه: ماذا حدث....؟
فقال: لاشئ ... لقد توقف القصف.
فرجعت الى النوم... حتى ولو بدون قصف المدافع !!.هل هو التحدى... أم القرف...
زاد عدد العرب فى "توده شنى" مع تميع موضوع القيادة, فأخينا سلطان فى تدخل دائم كما ذكرنا... وانسحبت تدريجيا من موضوع الأمارة, والألقيت معظم الأمور على كاهل عبدالرحمن... لكن ذلك اراحنى قليلا لكنه عقد المشلكه أكثر... فمن المشهور عند القادمين أننى المسئول عن الموقع... بينما هم يشاهدون أننى لا ألقى الأوامر لأحد... ثم وصل ؛صابر المصرى"... وهو صعيدى ضخم اشقر ذو عيون زرقاء... طيب وصبور ذو روح أبويه... وهو من العرب المشهورين بالبراعة فى استخدام الهاونات.

وقد وصل إلىنا وقد عينه أبوعبيده مسؤلا عن الهاونات ومعه طاقمه الخاص... هو المسئول المباشر عنهم... وهكذا زاد تجزئ المعمل رتضارب الأوامر... ولكن سلطان لم يكتف بذلك فقد ضخ مزيد من العرب الى بارى فى مركز ؛عيد جل« وطلب منهم تجهيز عمليه على جبل "زرمانكى" وكان المسئول عن تلك البؤره الجديده هو "أبوحنفى الونش" !!. ولم يكن الونش قد أثبت أى قدره عسكرة -- أو لم تتحرك الفرصه لذلك منذ وصوله عام 86 وقد شاهد جزءا من معركه اور وقتها -- ولكن روحه الفكاهيه الفاقعه قد تمنعه من القيام بدور قيادى فى عمل عسكرى... فأكثر من يعرفوه يضحكون لمجرد رؤيته... فقدرته هائله على الأضحاك... ولو أن القوات الشيوعيه فوق جبل زرمانكى تفهم العربيه لكان الونش قادره بمفرده على طرحهم أرضا وإلقاء اسلحتهم وأعينهم تفيض دمعا ... من كثره الضحك.

لم يكن تصرفات سلطان صحيحه, ولا اختياره للاشخاص موفقا , وقد قص علينا الونش بعد ذلك كيف شارك مع مجموعه من المجاهدين فى محاولة إلتفاف وهجوم على زرمانكى من الخلف لاكتشفهم العدو وهم مختبؤن فى قريه مهجورة منصب عليهم نيرانا شديدة... انفجرت قنبله خلف "الونش" بمسافة كبيره لكن قوه ضغطها قذفته الى الامام »وكان جالسا القرفصاء... فأخذ فى طريقه قائد المجموعه وباقى المهاجمين وطاحوا جميعا على الارض.

لقد قص علينا الونش مسرحية كوميدية أضحكتنا... ولكن لم يخبرنا عن معركه.

((لقد بدأت الفوضى العربيه تدرب على أرض بارى التى كانت هادئه... وقد تأقلم على القوضى الافغانية... الأن صرنا بين فكى الرحى فوضى عربيه وأخرى أفغانيه... كنت أشعر وعبدالرحمن بالمسئوليه عما يحدث... فنحن الذين جرينا خلف العرب وجذبناهم الى هذا المكان وبلا من الفتوحات والمعارك الرائعة... فها نحن فى حيص بيص.

كنا نفكر فى عبور تلك المرحلة الى بر الأمان بدون خسائر بشريه وباكبر قدر من الفائده للشباب الجدد... ورغم كل الفوضى.

المنطقه تزداد خطورتها مع استمرار الصوراريخ الجديده فى ضرب المدينه وزادت غارات الطين وقصق المدافع... وكنا قريبين جدا من الهدف المقصود... ولم نلبث أن اصبحنا مستهدفين وتأكد لنا بعد أيام قليلة أن هناك رصد دقيق لخيامنا فى الشعاب المجهوله التى دخلناها... وكان تصحيح الرمايه واضحا من اقترابها التدريجى حتى تصل تماما الى مكاننا... تكرر ذلك عده مرات لكن الله سلم... ثم أن الطيان عثر علينا بسرعه رغم تغيير المكان والتزام إحتياطات الاخفاء والامان.

فاقترحت أن يكون لنا مركز خلف فى أحد المغارات القديمه أما عند "سمير جول" أو المزكز القديم لمنان بين الشجيرات وقرب نبع رائع للماء العذب. والا نأتى الى "تودن شنى" وما خلفها إلا للاستطلاع أو للرمايات عندما نقرر برنامجا لذلك.

وبالفعل اتخذنا بعض الخطوات لكن لم يكن أحد متشجعا للرجوع الى الخلف (!!). ومطالبى بعد ذلك بدأت تؤخذ باستخفاف -- بالطبع لكونها متناقضه مع الشجاعة.

ومن أجل للاستفاده دفعنا عدد كبير من الدوريات لمعرفه المنطقة والتعرف على مواقع العدو القريبة, ثم وضعنا نقطتين فى برنامج العمليات الصغيره والمناوشات... الأول وأهمها هى محاوله تدمير الدباباه فوق تورغار... وكنا غير متأكدين بعد أنها فى المدى الفعالى لمدفع 82 ميلمتر عديم الارتداد.

النقط الاولى هى ضرب مطاريه مدفع على D.C علي حفاة المطار الغربيه وكنا قد رصدناها كواحده من المتغيرات الجديده عندالعدو.

كانت دورياتنا ممتعه ومرهقه فى آن واحد... خاصه وقد أظلنا شهر رمضان... فكانت معاناتنا مضاعفه وأيضا استمتاعنا بذلك العمل الرائع.

بواسطه الكاميرات ذات العدسه المقربه قمت بالتقاط صور متتابعه لجبل تورغار حتى تكون منها صورة متكامله "بانوران", وبالفعل حصلنا عى صورة متكامله غنيه بالتفاصيل لجبل توغار وخنادق المقابله لنا... والدبابه التابعه الى شرق قمته الشامخه.

لقد أثارت الصوره الملونه الجميله, والتوضيحات المكتوبه عليها بالقلم الازرق على الخنادق والاسلحة التى لها أثارت شهية الشباب للهجوم, ولكن أين لهم بالقيادات التى تقودهم نحو النصر.!??

وقد كانت جلال آباد قادمه فاغرة فاها مثل قبر رهيب وماهى إلى عده أشهر حتى غاب أكثر هؤلاء فى باطن الارض واكبر هزيمه لنا على أرض أفغانستان!.

يوم الاثنين 88/4/18: هو اليوم الاول من رمضان 1408 هجرى حسب رؤيه باكستان -- وفيه بدأت الصوم مع عبدالرحمن -- لرغبتنا فى مخالفة السعوديه, ولأن المنطقة التى نحن بها لم تشاهد الهلال أمس.
بقى عبد الرحمن فى ميرانشاه لأن ابنه ؛ابراهيم« كان مريضا , عدت منفردا الى منطقة بارى عند مركز "سمير جول" وتقدمت سيرا صوب مركزنا الجديد فى الشعب المهجور وكنا نطلق عليه "مركز صابر... قابلت صخرى الذى قال لى بأن بعض الشباب بدء يشعر بالملل... لم يكن هناك داعى حتى الآن للملل... فدوريتنا مستمرة فى المنطقة... وصابر وجماعته اعدوا مركز للهاون خلف الجبل المواجه "التورغار" وهو جبل طويل قررنا أن نضع على إمتداده 8 هاونات على الاقل عند الهجوم على تورغار -- أما عمليات شق طريق جديدة وإصلاح بعض التألف منها فهى الاخرى تسير بنشاط تحت قيادة الشاب الهمام (أبو أنيس)... كنا نحاول تقليل كثافة العرب فى المنطقة المتقدمه التى تبدأ من مركز صابر وأن نعود بهم الى مركز منان القديم المجاور للنبع العذب الذى أطلقنا عليه ؛كوتش آب« لهذا ربما شعروا بالملل ولأن المعركه ليست فوريه كما يحب العرب الذين يستثقلون فترة الأعداد للمعركة, ويرغبون دوما فى دمج المرحلتين معا فى مرحلة واحدة... وأن تكون المعركة فى وقت الاعداد... وأن يتم الاعداد للمعركة... و أثناء المعركة.
وليس غريبا أن نخرج من أفغانستان بمثل هذا السجل العسكرى المتواضع!!

الثلاثاء 4/19 -- الثانى من رمضان 1408ه.
وصل عبدالرحمن وآخرون... وأخبرنى أن سلطان قد عاد من بشاور وأن علينا أن نذهب لمعرفه ما استقر عليه أمر اللجنة العسكرية فى بشاور.
عدنا بالسيارة الى ميرانشاه وجلسنا مع سلطان قبل المغرب ثم بعدها... وكان ملخص ما ذكره أن اللجنه العسكرية تتملص من أى اجابه فاطعه حول عمليه "تورغار" »كذلك بالنسبه لتعيين أمير جديد للمنطقة "ولكن أبا عبدالله موافق على العمليه ويطلب بالدفاع عن الجبل بعد الاستيلاء عليه...
فأخبرت أبوعبيده بأننى لن أكون مسئولا عن مثل هذا العمل بأى حال وأن خسائرنا سوف تكون عاليه... وأن الدفاع عن الجبل هى مسئوليه الافغان وهم أقدر منا عليه...
كان وجودنا فى الهجوم ضروريا من أجل محوليه التنسيق بين المدفعيه وبين المشاه, وأيضا بالنسبه لتعامل المشاه مع حقول الالغام وفتح ثغرات فيها, وهو عمل يشمل استخدام ؛الافاعى المتفجره« وكان عددا منه متوفرا فى المنطقه , وكذلك عمليات الدفع اليدوى والتنظيم قبل العمليه.
أما الدفاع فهو يعنى البقاء تحت القصف المستمر أرضا وجوا لفترات غير محدود, وهو عمل لا بد فيه من تناوب القوات من أجل الراحة, بينما كل ما لدينا احتياطى بعد ذلك سوى اطقم المدافع وعدد محدود فى الاداريات.
لقد عدنا الى نفس النقطة مع "اللجنه العسكريه" ولم تحسم أى قضيه, وإن كانت الفوضي فى الجبهة العربية فى بارى تتنامى والمخاطر تزادد بسبب برنامج القصف الصاروخى ؛صقر« ورد القوات الشيوعيه عليه.

الاربعاء 88/4/20
نبحث اليوم عن تراكتور لفتح الطريق... نحاول عن طريق مكتب حقانى أن نجد فى أحد مراكزهم واحدا نستعيره ... وجدنا عندهم سائق ماهر ذو شهرة فى شق الطريق, وهو "والى ان" الشهير بقاهر الجبل...
ولكن بال معدات فماذا عساه أن يفعل؟
سنحصل اليوم أيضا على سياره تبقى معنا فى الجبهة بشكل دائم... فى لقاء آخر مع سلطان اخبرنا نقلا عن الشيخ حقانى بأن أمريكا واسرائيل طلبتا باكستان اغلاق معسكرات العر ب لأن أحد المقبوض عليهم فى العمليات فى إسرائيل كان قد تدرب هنا... وأن إسرائيل هددت بقصف السعوديه لأجل هذا الامر -- على اعتبار أن السعوديه تمول هذه المعسكرات.

الخميس 88/4/21:
تحركنا فجرا في سيارتنا الخاصه, كان معنا عدد كبير من العرب ارسلهم معنا ابوعبيده الى مواقع مختلفه, بعضهم الى بارى عند "الونش"... وآخرون الى مركز صابر الذى صار مكدسا ... واضطررنا الى توزيع الباقين على مراكز خلفيه من "كوتش أب" الى مغارات "سمير جول."
معظم القادمين "ضيوف" ذوى صغيرة, وبعضهم جاء لزيارة أصدقائه وآخرون لمعاينه الجو, إذا عجبهم الحال سوف يقررون مدة بقائهم!!
وهكذا... اصبحت الفوضى والتسيب فوق قدرتى على الاحتمال... لكن الامير الجديد لم يصل, وربما لايصل أبدا ويبقى الوضع هكذا إما الى أن تحدث كارثه, أو ينفض "المولد" ويعود الناس الى بلادهم عندما يقررون هم ذلك.
الاسوأ من كل هذا أن معظم من فى المنطقة الامامية يعتبرونى أميرا (رغم أن معظم أوامرهم قادمه من بشاور أو ميرانشاه)... أى أننى بشكل ما مسؤل عما يحدث... وهذا صحيح... فقررت وضع حد للمهزله...

أخذنا "أول دين" من مركز منان وقمنا معه بعدة جولات فى المنطقه, ولكن مهمته الاساسية كانت الصعود معنا الى "تورغار" وكانت أمنيتنا من تلك المجازفه أن نكتشف ثغرات فى حقول الالغام يستخدمها العدو فى المرور... وكنا أثناء مراقبتنا الطويله للجبل قد اشتبهنا بوجود مثل تلك الثغرة عندما شاهدنا ضابطا شابا يهبط من عند الدبابه الى مسافة كبيرة اسفل الجبل ثم عاد مرة أخرى... وكان معى وقتها شفيق وعبد الرحمن وآخرون... عقدنا مؤتمر عند نقطة الترصد وقد خيل إلينا أننا وجدنا مفتاح المشكله فلا يعقل أن تكون كل تلك المسافه هى عمق حقل الألغام.
وأن الذى شاهدناه هو شفرة يستخدمونها... ولكن لأى شئ?
لم نشاهد الضابط فعل شيئا مميزا سوى أنه جلس القرفصاء لفتره ثم ذهب... فهل يقضى حاجته? غير معقول أن يفعل ذلك من الجهه المقابله للمجاهدين, فالجانب الآخر من الجبل هو الأنسب لذلك.
لكن على أى حال هناك ثغره على الجبل من أسفل الدبابه.
هذا احتما كبير جدا , ولكنه يحتاج الى مزيد من التأكيد.
وإذا تحركنا مع أول دين فى إستطلاع قريب قد نتأكد من ذلك أو نجد ماهو أفضل منه.
كان ذلك قبل شهر رمضان بقليل, لكننى الآن غيرت رأيى وقلت لعبد الرحمن -- ناصحا , فقد كنت أعرف أننى سأترك الموقع وربما العمليه كلها بسبب هذه الفوضى -- فقلت له لايظهر أننا قادرون القيام بالعمليه أثناء شهر رمضان... فكثير من المجاهدين بدأوا يرحلون الى بيوتهم... حتى جماعة منان عددهم قليل جدا , ولايمكن استنفارهم من قراهم فى شهر رمضان.
والعرب بمفردهم لايمكنهم خوض العمليه, وحتى مع وجود الافغان فإن حالتنا الراهنه لاتؤهلنا حتى لمجرد البقاء فى المنطقة... فنحن معرضون للخسائر, بدون أن نكون قادرين على فعل شئ... فالعدد اكبر من اللازم... وتحولت جبهتنا الى بيت مضافه مثل بيوت بشاور وليس لنا سيطره على أحد هنا... وانصح بالتالى:
-1تأجيل عمليه استطلاع تورغار مع "أول دين" الى مابعد العيد حتى لايشيع أمرها بين الأفغان وتفتضح العمليه ونكشف نوايانا للعدو... فينبغى أن يكون الفاصل بين تلك المهمة والهجوم على الجبل ليس كبيرا.
-2ابقاء طاقم هاون واحد مع صابر وسحب الآخرين الى مغارات سمير جول -- وهو ليس بعيده جدا -- كما أن مساحاتها الكبيره ومكانها الجميل وتوافر المياه... يجعلها متجعا طيبا للاخوه الراغبين فى اكتساب الثواب والبقاء فى الجبهة خلال شهر رمضان.
-3بعد عيد الفطر ينبغى أن نجلس لاعادة النظر فى المشروع كله... فبدون تنظيم أمورنا كلها... فلا داعى للقيام بعمليه خطيره كهذه التى نفكر فيها.

من عبد الرحمن والآخرين, مثل شفيق وصخرى وأبو أنيس, لم تكون فكره الرجوع الى الخلف مقبوله... والشباب يفضلون العمليات فى شهر رمضان ولن يسرهم الجلوس فى المغارات فى الخلف.
ومن حججهم أيضا أننا يمكن استخدام اكثر من هاون واتاحه الفرصه للجميع أن يشاركوا فى الرمايه عليه كنوع من الازعاج للعدو.

ثم اثاروا معى وفيما بينهم ان المنطقه تفتقد إلى أمير...
فشعرت باصابع الاتهام تتجه نحوى... فقررت المسير فورا حتى تصبح المشكله اكثر تحديدا ... وأن يتخذ أبوعبيده قرارا محددا فى قيادة الجبهة... ولا أكون أنا مسؤلا بلا مسئولية...
فى عصر ذلك اليوم (الاحد 24/4 -- المواقف 7 رمضان) كانت حقيبتى الصغيره معده للرحيل... قررت أن أرحل بصمت حتى لا أثير ضوضاء... فكنت أعلم أنهم سيعمدون ألى إسترضائ وتطييب خاطرى... ولم يكن ذلك هو المطلوب أو هو حل المشكله التى أراها أمامى.
هذا الشعب الضيق أصبح مكدسا بالشباب, بلا قيادة ميدانيه وبلا خطه عمليات... أوامرهم تأتى من بشاور أو ميرانشاه, من اللجنه العسكرية التى هى غير مقتنعه بالعمليه, وليس لديها حتى الآن فكره عما تريد أن تفعله... سواء فى بارى أو فى أفغانستان كلها... والشباب يترفقونى الى بشاور بالعشرات والمئات... وليس هناك خطه لاستيعابهم أو حتى قدرة على ذلك... والاخطر أنه لا أحد يدرى على وجه الدقه عن هذا الشئ المطلوب من هؤلاء الشباب الذى اندفعوا بكل حماس وعضوية -- وعدم وعى أيضا -- إلى أفغانستان من أجل الجهاد... ماذا نريد منهم الآن... وغدا ... فى أفغانستان أو غير أفغانستان... سنقاتل بهم من! ولماذا". ومن سيقودهم". وأين". وكيف "... ومتى...؟
اسئله حائره... ولكن قيادات العرب فى بشاور اغلقت أذانها وسطحت الأمور تحت شعار "توكل على الله... دع الأمه تستيقظ.»
ولكن ماذا بعد اليقظه"... هل هو ثورة على الاوضاع المزريه التى تحكمنا وتحكم البشريه كلها"... أم أن بعد هذه اليقظه غفوة أطول؟ فتكون مثل صحوة الموت.!!
كنت على وشك الرحيل فحضر عبدالرحمن وابو أنيس وشفيق وصخرى وقد غرهم العرق... نزعوا اسلحتهم متعجلين فقد تأخروا عن الصلاة , وبدأوا فى الوضوء من جدول الماء الصافى الذى يمر من تحت اقدامنا فى الشعب. نظرت اليهم أملأ ناظر منهم... كنت أمعهم حقا ... ولكن شعورى بالغضب والاسى على نفسى وعليهم غمرنى أكثر من أى شعور آخر... نظرت الى الخيمتين على جانبى الشعب الضيق هذا هو "مركز صابر" على اليمين خيمه واحده... ابيت فيها مع أخرين وعلى اليسار خيمه صابر المكدسه للغايه... والى جوارها عريش به أوانى الطبخ وبعض جوالات الارز والبطاطس...
وتلك الحفر على جانبى الوادى تنذر بالخطر... قنابل طائرات وقذائف هاون "غرناى"... قادمه من تورغار... لقد أصبح مركزنا هذا على خرائطهم ... ان ذلك يغيظنى... فما أبشع أن يكون التجسس هو الحرفه الأولى فى المجتمع...
وهؤلاء الشباب الرائعون يغيظوننى أيضا ... إنهم مصرون على البقاء... ليس لأى جدوى عسكرية للمكان... ولكن تحقيقا لمدا ؛التوكل على الله... وأنه لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا.»
لقد أصبحنا مثل الافغان فى هذه النقطة أيضا ... ربما نحن متشابهون حتى قبل أن نلتقى بهم... لقد ضاعت مسئوليه القائد عن أرواح جنوده تحت تلك الشعارات.
فى مواقع تافهه مثل تلك يمكن أن يقتل الكثيرون بلا مبرر... ولا القائد يأمر جنوده بتغيير المكان... ولا الجنود مستعدون ؛بالمجازفه« بأن ينتلقوا من تحت وابل القنابل الى مكان آخر على بعد أمتار قليله...
حملت حقيبتى وسلاحى وأدرت ظهرى لمعسكر "صابر" وكأننى أودع بيتى الذى نشأت فيه... لم يلاحظنى أحد... فقد كنت غارق فى تأملاتى... أو حسراتى الحزينه... بدأت برنامجى مبكرا يوم الأثنين... الاستحمام... تم غسيل الملابس... وبعدها تنظيف السلاح ثم زيارة الى أبوعبيده... ذهبت الى بيت العرب الجميع نائم... وهناك ضيوف لم أرغب فى لقائهم... عدت الى البيت جمعت اشياء وسلاحى, وطلبت من صاحبى الافغانى "صديق" أن يبحث لى فى مكتب حقانى عن سيارة متجهه الى ليجاه.
نجح "صديق" أن يبحث لى فى مكتب حقانى عن سيارة , كنت أنا راكبها الوحيد مع السائق... فى حقيبتى كتاب أردت أن أقضى وقتى فى قراءته... كان بعنوان "القادة الالمان يتكلمون" وهو كتاب فريد فى موضوعه الذى يتناول الآراء العسكريه لكبار قادة ألمانيا النازيه حول أداء الجيش الالمانى فى تلك الحرب وأساس هزيمته فيها... والمؤلف هو الخبير العسكرى الأشهر؛ بازيل ليدل هارت" الذى أثرى الكتاب بوجهات نظره وتحليلاته العميقه.

وفى الغالب أنه تصدر القائمة السوداء فى المدرسة وربما السفارة الليبية, لأنه ظل هدفا دائما للتعذيب البدنى والنفسى... وكان سعيد الحظ أن أفلت من هذا الاضطهاد... بأن انقذته قنبله سوفيتية فى "جاور".... وربما كانت مدرسته أسعد حظا بذلك.

غادرت إسلام آباد وأنا أشعر بالغضب لاختفاء خالد المتعمد وقد نقلت له أمه ذلك, وقد انزعج لذلك أيما انزعاج, وسافر خلفى وظل يبحث عنى فى بيشاور الى قرب منتصف الليل حتى أدركنى فى أحد البيوت, وكنا وقتها فى اجتماع, فرفضت أن أقابله وظللت أعامله بجفاء -- وأحيانا بقسوة -- حتى يوم استشهادة.

وقد حاول طوال الوقت أن يسترضينى وواظب باجتهاد على قدر استطاعته/ فى دورته التدريبية فى اور وهو دائم السؤال لمن حوله "هل سيفرح أبى لأننى أكملت الدورة"" وقرر أن يستمر فى دورته بدون الى يسافر لقضاء العيد مع اخوته وأمه فى إسلام آباد -- وذلك حتى يجعلنى سعيدا وأرضى عنه. لكنه استشهد يوم وقفه عيد الاضحى بدون أن يرى بادرة لهذا الرضا الأبوى السامى.!!

وكان استشهاده دليلا لايقبل الشك أقنعنى بأننى كأب لا أساوى شيئا ... وأن آخر ما أعلمه ... هو أولادى... وشاعرهم ومشاكلهم...

شارع الجامعة فى بشاور, من أفضل شوارع المدينة من حيث مواصفات الطرق, وبالنسبة للمنطقة التى يخترقها, والتى كانت زراعية فى السابق, ويبدأ الشارع متفرعا من شارع المطار الذى يخترق منطقة عسكرية عريقة تعود معظم مبانيها الى عهد الاحتلال البريطانى للهند, أما شارع الجامعة فتنتهى مواصفاته العالية الجودة بأنتهاء مبانى جامعة بشاور, ليبدأ بعدها طريق خيبر الذى يصل بعد 80 كيلومتر الى افغانستان عند نقطة تورخم الشهيرة عبورا بممر خيبر التاريخى الذى شاهد حملات الغزو من وإلى الهند منذ فجر التاريخ.

(على طول شارع الجامعة, وتفرعاته الجانبية كانت معظم مكاتب وبيوت ضيافة المنظمات الأفغانية والمؤسسات الدولية, وأخيرا وصل العرب ليزاحموا التواجد الأفغانى والدولى المرافق له, فانتشرت البيوت العربية العلنى منها والسرى على جانبى شارع الجامعة وتفرعاته, ولما ضاقت تلك الساحات, توسعت كل النشاطات السابقة الى الاحياء الجديدة والحديثة فى منطقة "حياة آباد" الواقعة الى يسار طريق تورخم وفى بدايته البكرة ويفصلها عنه شريط السكة الحديد الذى تركه أيضا الاستعمار البريطانى, الذى غادر المنطقة بجسده, بينما ظلت روحه جاثمه على روح "الدولة الباكستانية" التى لاتطيق الحياة بدون سيادة الغرب وعذاباته العذبة !!. فالصفوة المتغربة مازالت تحكم باكستان منذ "إستقلالها !!" ولكنها تحكم من تحت الحزاء الغربى, وترفض مجرد التفكير مجرد "الزحزحة" من تحته.

(شارع "عبد الله رود" هو أحد التفريعات المشهورة من شارع الجامعة, وعند التقائه مع خط السكة الحديد "الاستعمارية" يقع بين واسع كان مركزا لهيئة عربية, ثم أحد مكاتب صديقنا جلال الدين حقانى.

ولما كانت الوجهة الرئيسية للعرب هو مشرعنا فى خوست, فإن مكتب حقانى هذا اصبح مكتبا نشطا للعرب, وضاعف من ذلك أن شيخنا أبو أسامة اتخذ مقرا له أحد غرف ذلك المبنى حتى يحتفظ لنفسه حياوية بعيدا عن مكاتب الاحزاب الافغانية, أو مكاتب العرب بتوجهاتهم المتنوعة, وقد رأينا أن ذلك الحرص على الحياد لم ينفع "أبوأسامة" فتم طرده بطريقة مهذبه بواسطة أبا عبدالله, والشيخ عبدالله عزام.

وكان الاول قد تم اختياره أميرا للعرب, والثانى أميرا لمعسكر صدى, أضافة الى وائل حليدان (أبو الحسن المدنى) الذى انتخب أميرا لمنطقة بشاور, وتمت "اصحاب الحل والعقيدة"من كلاها ... وكنت وغيرى من الرعايا قد سمعنا بنتائج تلك "السقيفه" وجرت علينا احكامها وإن لم نشارك فيها أو حتى نسمع بانعقادها ...

على كل حال كان كل ما فى عقولنا وأرواحنا هو معركة كبيرة فى خوست تحول الانسحاب "السياسى للسوفييت" الى "هزيمة عسكرية" لالبس فيها ... وكان العرب معنا وأمرائهم أصدقاؤنا ... فلا يهم بعدها ... ماذا حدث فى "سقيفتهم."

....

أبو اسامة كان قد تحرك الى معسكرة الجديد فى "ورسك" ودورته على وشك أن تبدأ بعد أيام وتحديدا يوم الجمعة القادم الثالث من مارس, وكان ذلك جيدا فهو الرجل المنضبط والصارم فى نظام لم يكن ليطيق حاله الفوضى تلك التى وجدنا فيها ذلك البيت, فوضى العرب وفرضى الافغان حتى أصبح صورة مصغرة لأحدى "الجبهات" التى إنفلت عيارها.

ثم وافقت على تأجيل سفرى الى الغد حتى ارافق سلطان وأبوأنس الى بشاور... وفى وقت متأخر ليلا وصل أبوأنيس من "توده شنى" وبرفقته عبدالرحمن وشفيق... وقد حضروا خصيصا لمعرفه إذا كنت قد تركت المعسكر غاضبا منهم... واكد عبدالرحمن أنه لم يتوقع أن اترك المعسكر وأنه كان يتجهز بالصلاه وفوجئ بسفرى بعد أن غادرت المكان...

شعرت بالخجل أنهم تكلفوا هذه المشقه وحضروا فى هذا الوقت الخطير... فليس من المحبذ التحرك ليلا عبر الحدود ثم فى مناطق القبائل, نفيت غضبى وقلت أننى أنوى مقابله ابو اسامه فقد أرسل يطلبنى -- وكان ذلك صحيحا -- وأننى سوف أغادر الى الامارات وأحضر قبل العيد... لبحث موضوع بارى مرة اخرى.

وطلبت من عبدالرحمن ألا يحاول الصعود الى تورغار مرة أخرى حتى لايشيع الخبر بين الافغان... فيعلم العدو أن العرب يفكرون فى العمل ضد تورغار فيضاعف احتياطاته.

وكررت نصيحتى مرة أخرى بسحب العرب الى المراكز الخلفيه عند مغارات "سمير جول"

كنت وعبدالرحمن قادرين على قراءة افكار بعضنا البعض.

كنا يعلم أننى غضبان... وأننى تركت المعسكر محتجا ... وكنت أقرأ فى رجهه, أنه غضبان لأننى تركت العمل الذى طالما حلمنا به... وكان أولى بى آلا أتركه وحيدا فى هذا الخضم المتلاطم, مع شباب جدد معظمهم عديم الخبره...

كنا قد عثرنا على مجموعه نادرة من العرب امتزجنا بهم كأننا كنا معا منذ بدايه الجهاد... من أمثال شفيق وصخرى وابو أنيس وذبيح الله, وهناك شباب رائعون يمكن أن نكسبهم معنا من أمثال صابر وحمدى - وهم من تنظيم الجهاد - ثم بعد أن استجاب الله لنا بأن شد أزرنا بأمثال هؤلاء... نتركهم وتولى مغاضبا ... وتتركنى وحيدا بعد أن كنا لانكاد نفترق فى سراء أو ضراء...؟

كنت أرى هذا وكثر فى قسمات وجهه المرهقه... والذى كان عابسا على غير العادة حتى عندما كان يجتمع حتى فى أقصى الظروف, وهلك اللحظات التى تنخلع لها القلوب, وتنهد فيها الجبال.!!

كنت للحظة أن ألغى سفرى وأعود معهم...

كنت أشعر بتأنيب الضمير وأنا اتركهم هكذا فى مثل هذه الظروف... ولكن بقائ سوف يساعد على استمرار هذه المهزله وسأكون أنا الساتر الذى يغطى كل تلك التجاوزات ... وإن سفرى سوف يجبر أبوعبيده على علاج الوضع الذى هو المتسبب الأول فى إتلافه... كان لابد أن اغادر حتى ينصلح الحال » سوف أعود حتما بعد العيد... وسوف أشارك معهم فى العمليه... مادام هؤلاء مشاركون فيها -- لن اتركهم حتى ولو كانت معركه خاسره وقتلنا جميعا فيها.

بعد صلاة الفجر بقى أبو أنيس, وودعنى شفيق ثم عبدالرحمن الذى ودعنى الوداع الأخير... فلم آره بعد ذلك أبدا .

فى بشاور لم استطع العثور على الدكتور عبد المعز تحركت فى نفس اليوم الى إسلام آباد... وفى نيتى استكمال الرحله الى الامارات والعوده قبل العيد كى اتابع مع عبدالرحمن مشروع "تورغار."

لكن فوجئت بثوره منزليه... من الزوجة والأولاد بهدف أن أبقى معهم حتى أيام العيد »ثم واجهونى بسجل طويل من الاعمال الجسيم الذى أرتكبته بحقهم بشأن قضاء مثل تلك المناسبات المباركه معهم.

ظلت المعركه بينى وبينهم فى شد وجذب... هم يستخدمون تكتيكات اللوم والتأنيب وأحيانا الدموع... وأنا استخدم تكتيكات الوعود الورديه والتلويح بالهدايا... وأحيانا إلقاء النكات لتخفيف حدة المواجهة.

ظللت صامدا ... لولا المستجدات التى أضعفت موقفى حتى خسرت المعركه وأذعنت للمطالب الاسريه, بشرط أن أغادر فى رابع أيام العيد... وقد كان.

(أما المستجدات فكانت وصول أباحفص وأباجهاد من دور كلهم التدريبيه "السريه" فى شاهى كوت... ثم وصول سلطان من ميرانشاه... ثم أبو معاز المدير الادارى لمشروع تورغار... وجميع هؤلاء لهم أسر مستقره فى العاصمه إسلام آباد... ولم يلبث أن توافد بعض الضيوف العزاب ممن حضروا دورات إنتهت قريبا من أفغانستان, أوعلى الحدود.

فى طريق عودتهم قابل أباحفص وأباجهاد فى ميرانشاه صديقنا عبدالرحمن واكتشفا من حديثهما معه أنه غضبان جدا من تصرفهما معه ومعى أثناء مرورهما علينا فى بيت ميرانشاه أثناء التحرك الى شاهى كوت.

قالا أنما فوجئا بذلك الغضب الذى لامبرر له من وجهه نظرهما.

ما حدث هو أمر عادي لايستوجب ذلك.
اكتشفت وقتها أن الشاب عندما ينتمى الى "تنظيم سرى" فانه يصاب بحاله من الاستعلاء والشعور بالتفوق... ويرى فى ذلك حقا طبيعا بما يستتبعه من تعدى على حقوق أو مشاعر الآخرين الذين عليهم قطعا (!) تقبل ذلك بصدر رحب.
لم يكن من مصلحة فى توسيع الخلاف أواستمرارة فقبلت وجهه نظرهما على علاتها... وطلب أبا جهاد رساله منى الى عبد الرحمن أخبره فيها أن الموضوع قد تمت تسويته... فقد ربط عبدالرحمن موقفه بموقفى... فكتبت له رساله بذلك... قال أباجهاد أنه سيأخذها معه الى ميرانشاه.
لقد انتهت المشكله ظاهريا ... ولكنا حقيقتها ظلت قائمه بيننا... بل فى صلب العمل الجهادى نفسه... فبعض التنظيمات أو بعض التيارات داخل بعض التنظيمات تتقمص شخصيه شعب الله المختار... فترى من خارجها مجرد ؛ أغيار« من ؛الأميين.»
ومازلت بعد سنوات من تلك الاحداث ألاحظ أنه حتى فى جهه القتال لايشفع الخندق الواحد فى خلق وحده شعوريه بين الفئتين.
فأصحاب "التنظيم" يرون أنهم الأفضل من كل "الأغيار" الذين معهم فى نفس الخندق... وأحيانا ... بل غالبا ... مايكون مخطئين فى ذلك.
ويرون أن "الجهاله" داخل التنظيم خير ما العلم وكفاءه أو المقدرة إذا كانت خارجه... أوكما قالها أخوانى حركته السنون "تخرب بيدى... ولاتعمر بيدك". أى نرضى بالخراب إذا جاء على يد التنظيم, ولا نرضى بالصلاح والعمران إذا جاء من خارج التنظيم ... وهو حكمة صحيحة تماما حسب ما رأيت وعايشت فى كل تلك السنون ..ومن كل التنظيمات التى شاهدت... أخوانا كانوا... أم جهاديين... أم أحزاب جهاديه من الأفغان... أم "حركة طالبان" من الافغان... إلخ ... إلخ... إلخ.
المهم أن المشكله بيننا وبين أوخواننا التنظيميين قد تم حلها... واحتفالا بهذه المناسبه السعيده طلبوا معدات أخرى من التى لدينا... أو أهم قطعه لدينا وهو جهاز التحكم من بعد... وذلك ؛لإجراء بعض التجارب عليها« حسب قول أبوجهاد... وحتى لا أفسد المصالحه وافقت على ذلك الشرط التصالحى وكتبت بذلك الى عبدالرحمن... وقد وعد أبوجهاد بإعادة الجهاز فور الانتهاء منه ويبدو أنهم حتى هذه اللحظه لم ينتهوا من العمل بالجهاز... ولا بكل الاشياء الاخرى التى -- استعاروها من معداتنا الفنيه حتى الخرائط الخاصة بمنطقة خوست.
فلم يعد منها شئ... أنها القريبه المقدسه التى ينبغى أن يدفعها الاميون لشعب الله المختار.
وأن كان من ايجابيه فى كل ذلك فكانت أنهما أتاحا لى الفرصة من حيث لا أدرى كى اكتب آخر رساله أوجهها الى عبد الرحمن وكانت فرصه لترطب الاجواء معه بعد مغادرت الجبهه.
وقد وعدته بالحضور بعد رحله سريعه الى الامارات.
وأوصيته بالاهتمام بالمطار -- مطار خوست -- وكتبت له فى آخر الرساله بيت الشعر المفضل لديه والذى كان يتغنى به عند قصف المطار... وكان يقول "يحن إلى أرض المطار فؤادى."...
وقد وجدت ذلك الطاب وسط أوراق عبدالرحمن فى ورشتنا فى ميرانشاه... ومازلت احتفظ به.
-- -- -- --
(سافرت الى أبوظبى رابع أيام العيد, وهناك قضيت عشرة أيام ممتعة مع الأصدقاء والزملاء القدامى... واشتريت كميه من الكتب الجديدة كما أفعل فى كل زيارة, وفى مساء الاثنين (30 مايو) أقلعت بى الطائرة من دبى كى تلامس عجلاتها مدرج مطار إسلام آباد فى الثالثة من صباح الثلاثاء (31 مايو)... وكانت مفاجأة سارة لى أن أجد الأهل فى انتظارى فى المطار... ولم أتوقع منهم تجشم تلك المشقه... وزاد من بهجه اللقاء ذلك الفجر الى بيعى الرائع. ومن المطار الى البيت قطعنا الرحله الى البيت فى سياتنا الميكروباص التى نعتبرها بيتنا الثانى, فى سؤال عن الأموال واخبار الاهل والاصدقاء... وانوع الهدايا... كان عيدنا لم ينته بعد.
لكن... هل يعقل أن تكون الدنيا خادعة الى هذا الحد "... هل يعقل أنها فى نفس الوقت الذى تقدم لى تلك اللحظات الرائعه من اللقاء العائلى الحميم فى أجواء الفجر الباسم الملئ بعبير أيام العيد المبهجه مع فرحة العودة ولقاء الاهل التى تغمر كيانى باسرور...
هى نفس اللحظات التى أتلقى فيها اكبر مصيبه شخصيه لم أرى لها مثيلا منذ خلقنى الله... حتى اليوم.
نعم... هى كذلك بكل أسف... قمه الفرح هى نفسها قمة الكارثه...

(فى نفس اللحظة التى لامستنى فيها عجلات الطائرة التى قدمت فيها, أرض مطار اسلام آباد... كانت قدم صديقى عبدالرحمن قد لامست لغما مضاد للأفراد قريبا من قمه "تورغار" »ندوى أنفجار هائل رفعه فى الهواء واطاح به بعيدا اكثر من عشرة أمتار.
كانت إصابته جسيمة... وفقدت عينه اليمين... وتهشم عموده الفقرى... وضل ينزف لساعتين من الزمن... ثم ... أفضت روحه الى بارئها ...
فماذا كان يحدث فى بارى خلال تلك الساعات التى كنت فيها معلقا بين السماء والارض فى طائرة أقلعت من دبى فى طريقها الى إسلام آباد.؟

كانت بارى قد هدأت جدا خلال رمضان... فقد توقف برنامج صوريخ صقر الذى ترعاة المخابرات الباكستانية.
ومعظم المجاهدين قد عادوا الى قراهم واء الحدود... وتراجع عبدالرحمن وصابر والآخرون -- أى ماتبقى من الشباب العرب -- الى مركز "سمير جول" ذو المغارات الفسيحه والحصينه فى مثل هذا الوقت من كل عام تكون بارى خالية وخطيرة...
لم تعد القوات الحكومية تهاجم... لكن "المنافقين" من الجواسيس على استعداد لبث الالغام... أو نصب كمائن سريعه وقاتله.
وقبل حوالى شهرين كان عبدالرحمن يركب فى سيارة لجماعة منان... وكانوا فى طريقهم من بارى الى ميرانشاه... فمرت سيارتهم على لغم دبابات, مزق السيارة وقتل اثنين من المجاهدين واصيب عبدالرحمن بعدة رضوض وظلت اذنيه تصفر لمدة شهر.
فهدوء بارى الساحر قد يعنى إقتراب موت سريع ومفاجئ... وهكذا معظم الجبهات فى أفغانستان.
بعد أيام العيد بدأ عبدالرحمن مرة أخرى فى تسيير الدوريات, ووضع "تورغار" تحت المراقبه من جديد.
وفى أثناء المرقبه لاحظ عبدالرحمن أن أحد الضباط كان قريبا من الدبابه ثم هبط مباشرة وقطع مسافة كبيره نسبيا حتى وصل الى حافة حرف حاد من الصخور السوداء وعنده ينتهى الطريق القادم من القمه, لكن هناك حافه جبليه مشجرة تأتى من أسفل الوادى الى اسفل الجرف الاسود.
لقد كنا نفكر فى نفس هذا الطريق قبلا عندما شاهدنا أفرادهم ينزلون من اتجاه المجرف قاطعين بعض المسافه تجاهه دون أن يصلوا إليه.
وقلنا وقتها لو أن تلك الثغرة واصله الى حافه الجرف, فلنهاجم ليلا خلالها, ونصنع سلم أو اكبر من أخشاب البامبو لصعود الجرف.
ولكن هل هناك احتمال أن تكون هناك ألغام فى الطريق الواصل من الوادى الى اسفل الجرف ؟
كان الاحتمال ضعيفا لكون الجرف يعتبر حاجز طبيعى أمام أى تعدم تجاه القمة فتلغيم هذا الطريق يعتبر تحصيل حاصل.
لقد شاهد عبدالرحمن الحلم يتحقق أمام عينيه وقرر أن يحسم المسأله فورا ويجيب عن جميع التساؤلات... كان يعرف أننى سأصل يوم الجمعه.
وكان يريد أن يضعنى ويضع اللجنه العسكرية مع سلطان أمام الامر الواقع.
هاهو الطريق مفتوح أمام تورغار... فلنهاجم فورا ونأخذ الجبل فلنقبض بأيدينا على مفتاح خوست.
فقرر بسرعة أن يصعد الجبل... وان يصل الى نفس النقطه التى تحرك منها الضابط الشيوعى... الى اسفل الدبابه.
ليس لأحد بعدها عزر أو سؤال... سيصعد هو بنفسه هذه المرة كى يثبت أن الطريق سالك... وفى المرة القادمه سيأتى على رأس طابور المجاهدين... العرب والافغان.
عبدالرحمن كان يعلم أنه يحتاج الى وقت ليس بالقليل حتى يتم عمليه الحشد اللازمه للهجوم... من أفراد وذخائر... ولو علم الافغان أنه اكتشف الطرق الآمن الى قمه تورغار فسوف يصل الخبر حتما فى وقت قصير الى قوات خوست الشيوعيه.
لذا قرر عبد الرحمن عدم أخبار الافغان -- حتى جماعة منان -- أقرب الاصدقاء والحلفاء...

جهز عبدالرحمن داوريه من العرب... وقبل اليوم المحدد للحركة نزل الى ميرانشاه, وودع زوجته وأبنه... ورغم ثقته فى نجاح العمليه إلا إنه كان بالحزين... وربما شعر أن اقرب أصدقائه قد تخلى عنه فى وقت ما كان يتوقع منه أنه يفعل ذلك, ورغم أنه يعلم أننى قادم فى القريب العاجل... إلا انه كان يتحدث كثيرا عن الشهادة... ويتوقع أنها قريبه... تكلم فى ذلك مع الاصدقاء الجدد الرائعون صخرى, وشفيق, وابوانيس, وذبيح الله...

ولم نكن نتحدث عادة بتلك اللهجة,... كان أكثر أحاديثنا عن " العمليات" ومتعلقاتها... حتى الحديث عن الشهادة كان يتم بمرح... كأنها أحد مستلزمات "العمليات" ولكنها تحضر أبدا ... لذا كان يقول نحن مجموعة من "التخاء" الذين لايريدون أن يذهبوا.

قال الشباب الذين حوله أن الحزن غلب عليه باقى أيام رمضان وحتى يوم العملية...

تحرك عبدالرحمن على رأس مجموعة بعد عصر يوم الأثنين (30 مايو) وساربهم من "توده شنى" عبر الوديان الضيقه التى تخترقها جداول المياه العذبه الرقراقه... وفى المسالك الملتويه... كمن على مسافة قريبه من حافته " تورغار" الشرقيه فى الوادى الذى يفصل ذلك الجبل عن الجبل المقابل والذى كنا نستخدمه المراقبه "تورغار"... وكنا كالعاده نطلق عليه إسما مرحا وهو "جبل اللياقه" لأن الصعود قمته يحتاج الى ياقه عليه.

(فى ضوء القمر إقترب عبدالرحمن ومجموعته الى بدايه المنحدر الصاعد الى الجر الاسود ثم شرعوا فى الصعود ببطء شديد... وبعد مسافه ترك مجموعه لحمايه الطريق من خلفه... وصعد بمجموعه صغيرة, تضم صخرى وشاب بحرينى يدعى الخال وأبو أنيس.

استمروا فى الصعود حتى بلغوا الجرف الاسود... فاستراحوا حتى يلتقطوا أنفاسهم لقد اكتشفوا أن العدو أقرب مما تصوروا فأصواتهم فوق القمه وسعال الجنود فى الخنادق يصل اليهم تحت كأنهم الى جانبهم.

لابد من الصعود فوق الجرف... قرر عبدالرحمن وبدأ بنفسه فلا أحد يباريه من حيث القوة واللياقه فى المجموعه التى معه... لم يكن الامر سهلا ولكنه نجح فيه... ثم تبعه الخال... وفى الأخير جاء صخرى... لكن رشاشه إنحدار من على كتفه واصطدم بالصخور بقوة فاصدر صوتا عاليا ... ظنت المجموعه أن العالم كله قد سمعه... فصاح الحارس من فوق القمه قرب الدبابه صوته هو الآخر أقرب مما تتوقعوا: "قف »قف ... من هناك."

ثم ثلاثون طلقة متتابعة كنست المكان من حولهم, لقد أفرغ الحارس المرعب خزان ذخيرته فى صوب الصوت المعنى... وحدثت جلبه عند القمه...

فتكوم عبدالرحمن والشباب بين النتوءات الحجرية وهم منبطحون... وانتظروا حتى هدأت الضجه.

أدرك الشباب أن هبوطهم من الجرف مستحيل فسوف يسقطون حتما...

قال لهم عبدالرحمن هامسا"سوف نسير على حافه الجرف ثم نهبط من الجزء العادى من الجبل... قد يكون هناك ألغام... سأبدأ أنا بالحركة جهة الغرب لكن ابتعدوا جميعا خلفى بمسافه أمتار" ...

نظر عبدالرحمن خلفه ولما إطمأن أنهم ابتعدوا مسافه كافيه نهض وخطا بيمناه خطوته الأولى... وطار فى الهواء ثم سقط بعيدا فى ساحة مستويه مليئة بالاعشاب وبعض الشجيرات...

أصاب الشلل تفكير الشباب الثلاثة... هل ضاع عبدالرحمن؟

وتوقعوا نيران رشاشات العدو أن تنهمر عليهم من فوق القمه... فازدادوا إلتصاقا بالارض واقترابا من الاحجار البارزة...

لكن الغريب أن العدو لم يطلق نيرانه... وبدلا عن ذلك جاءهم صوت عبد الرحمن خافتا وهو ينادى: "صخرى... صخرى... فالارض ملغومه"

فرد قائلا : وهو نترك خوينا ؛أخونا« ونذهب.؟

تقدم صخرى الاسمر بقوامه الممشون مثل الرمح الافريقى, كى يعبر حواجز الموت الى صديقى عبدالرحمن, كان القمر قد بدأ يختفى خلف تورغار, ولكن الظلام لم يكن دامسا بل أن الضوء غير المباشر من القمر كان يكفى للمسير الحذر... ولكن مادامت الالغام مدفونه فليس من وسيله فى مثل هذه الظروف كى يكتشفها أو يتجنبها صخرى وزملاؤه.

وصل صخرى سالما الى عبدالرحمن... الذى كان مطروحا على ظهره وهو ينن من الآلم... حاول صخرى أن يحمله على ظهره فكانت تجربه شاقه عليه وغايه الآلم لصديقه... فوزن عبدالرحمن يناهز ضعف وزن

صخرى... ولم يكن أحد يدرى أن عظام الظهر لدى عبدالرحمن قد تحطمت من جراء الانفجار أو سقوطه فوق الصخور.

لم يستطيع صخرى أن يعالج الموقف حتى وصل زميلاه وساعداه فى حمل عبدالرحمن على ظهره... وكان الهبوط مأساويا... فصخرى لايقوى على حمله الثقيل فهو يسقط به فى كل خطوة... وعبدالرحمن يتألم بشده لأى حركه فى ظهره... وطلب من صخرى إلا يضعه على الأرض لأن ظهره لايحتمل... ولكن صخرى النحيف الذى كان يحمل عبدالرحمن فوق ظهره ويمسك يداة من الامام ويمشى منحنيا... فيسقط اكثر مما يمشى, حتى تمزقت ملابسه وابتلت جميعها بدماء عبدالرحمن الذى ينزف بغزاره من كل بدنه.

فى قمه آلمه همس عبدالرحمن فى أذن صخرى القريبه من فمه "أنا أحبك فى الله يا صخرى"... ثم همس مرة أخرى:

"ألهم أجعل ذلك خالصا لوجهك الكريم"

ولم يتكلم بعدها أبدا ولكنه ظل حيا والدماء تتلفق من جسده الى جسد صخرى الذى تحولت ثيابه الى أسمال معجونه بالدماء.

(مازالت المسافه كبيرة جدا حتى تصل المجموعه المنهكه الى الواد... فأخذوا صديقهم عبدالرحمن الى قرب شجرة متشعبه واطمأنوا الى أن المكان لايراه العدو... فأنزلوا عبدالرحمن فوق ظهر صخرى الذى هره الاعياء...

أما عبدالرحمن فلم يعد يتكلم منذ فتره لكن بعض الأصوات التى تنبعث منه تنبئ أنه مازال حيا ... نظروا إليه وتأملوا إصاباته التى فطرت قلوبهم... وقال لى صخرى بعد ذلك بأشهر طويله.

"لقد تمنيت له وقتها ألا يعيش... ودعوت له أن يموت شهيدا , فلم أكن أتصور أن يعيش بمثل هذه الاصابات المريعه... لقد أختفت مسافه اليمنى فقئت ويسيل من محجرها الدم.

وعظام ظهره مفككه... والدماء تنزف بغزارة من الصدر والبطن واليدان... فكيف يكون حاله إذا قدرت له الحياة؟

لقد تركته مع اخوانى تحت الشجرة وذهبت كى أطلب نجده لنقله فزلت حتى مجموعتنا التى تركناها للحمايه, وكانوا قد سمعوا إطلاق النار ثم الانفجار... وكاد القلق يقتلهم وهم لايدرون ماذا حدث ولاكيف يتصرفون"...

طلب منهم صخرى الصعود الى الاعلى لمساعدة أخوانهم... أما هو فسوف يذهب سريعا الى المعسكرات فى "توده شنى" لطلب مساعده من الافغان لنقل عبدالرحمن.

لكن تقدير صخرى لم يكن سليما , فقد بدأ الخيط الابيض من الفجر فى الظهور... وليس هناك وقت لكل ماذكر... فلا أحد يستطيع دخول تلك المنطقة فى ضوء النهار, إلا أفرادا قلائل وبشق الانفس مع المخاطرة الشديدة.

وبالفعل فقد بدأ النهار يشق عليه فى الطريق... فخلع ملابس واستحم وغسل ملابسه بعد أن أغرقته الدماء... وسار حتى تجمع العرب فى "سمير جول" ... واخبرهم بالخبر الصاعق.

أما الجماعة العربية فوق الجبل فقد أدركوا أن عبدالرحمن قد فارق الحياة في حدود الخامسة صباحا ... فأحضروا جثة عبد الرحمن تحت تلك الشجرة الضخمة وتسللوا بسرعة خارج الوادى...

شاع الخبر بسرعة البرق بين كل مجموعات بارى... فقد كان عبدالرحمن الشخصية الاشهر والاكثر شعبيه بين الأفغان فى بارى أما مجموعة منان فقد نزل عليهم الخبر نزول الصاعقة, وكأن منان نفسه هو الذى قتل, واستنفروا رجالهم كأنهم ذاهبون الى المعركة... وثارت ثائرتهم على العرب لأنهم تركوا جثه عبدالرحمن فوق الجبل وعادوا بدونه... كان يجب أن يضروه حتى ولو كلفهم ذلك ألف قتيل ؛لقد كان ترك جثه القتلى فى أرض العدو بدون سحبها عارا شديدا لدى الأفغان, وكثيرا ما كانت المعارك من أجل استعاده الجثث القتلى, أشد عنفا وتكلفة من المعركة الاصلية أى من أجل إحتلال موقع.»

حشدت جماعة منان رجالها وأسلحتها طول اليوم... وتقدموا صوب تورغار مع هبوط الظلام... وتقدم معهم العرب, وصعد معهم أفراد المجموعة التى رافقت عبدالرحمن الى الشجرة التى تركوا جثة زميلهم تحتها... ورجعوا بها إلى بارى... وفى وقت مبكر من صباح الاربعاء عبروا بها الحدود الى ميرانشاه, ثم إلى بيت حقانى...

كانت الصدمه كبيرة لحقانى ورجاله فقد كان عبدالرحمن صديقا حميما للجميع, وتوافد رجال حقانى فى سياراتهم من الجبهات ومن القرى القريبه, وشهدت المدينه الصغيرة حشدا ضخما لايتوافر إلاى لكبار القادة أو زعماء القبائل.

وأخر حقانى عمليه الدفن حتى صباح اليوم التالى حتى يتيح الفرصة لزملاء عبدالرحمن الذى هم خارج ميرانشاه أن يحضروا عمليه الدفن... وفى صباح الخميس كان الجمع حاشدا ومهيبا فى مقبرة ميرانشاه فى مقابل بيت عبدالحمن, وإمتلأت المقبرة بالمشيعيين وطفحت بهم الطرقات والساحات المجاورة, وألقى حقانى خطابا طويلا جامعا تحدث فيه عن معانى الجهاد, وعن مشاركة العرب فيه وعن عبدالرحمن الذى وهب حياته لذلك الجهاد حتى لاقى ربه شهيدا , وبكى اكثر الحاضرين حزنا على ذلك العربى الغريب الذى مات شهيدا وعاشر شجاعا وسط جبهات القتال وفيما بينهم. وتم دفن عبدالحمن فى ساحة صغيرة ضمت الشهداء من كبار رجالات حقانى وهم الشيخان أحمد جول وفتح الله وهما أقرب مساعديه الذان استشهدا فى معركة ليجاه عام 1985. ثم الضابط نقيب الله قائد قاعدة جاور والذى إستشهد فى بدايات معركتها عام 1986.

وبعد شهر تقريبا زرت مقبرة عبدالرحمن وكان خلفه مساحة قليله باقيه... ظننت وقتها أن الأقدار قد احتجزتها لجثتى كى أدفن قريبا منه... كنت وحيدا وقت الزياة التى كانت عصر أحد أيام شهر يوليو... لقد تحدثت طويلا مع عبدالرحمن... وأخبرته بما يحدث وأشكو إليه هذا الحال الذى صرت إليه بعد أن استراح هو وتركرنى وحيدا من ظروف أشد قسوة من أى وقت مضى... وهو أمسى من أكون بدونه"... فماذا يمكننى أن أفعله فى أفغانستان"... ومع من أعمل.؟

لم أدرى كم مضى من الوقت, ولكنى لما عجزت عن الوقوف وقد انفطر صدرى من شدة البكاء... عدت أدراجى مع بداية الظلام.

اذا كان عبد الرحمن قد نال الشهادة, فإننى أصبحت قتيلا يتحرك على سطح الأرض.

لقد كنت أتصور أننا سوف نستشهد سويا . ولكننا سنشارك فى فتح خوست, وربما كابل أيضا قبل أن يحدث ذلك.

منذ ثلاث سنوات متواصله ونحن نعمل سويا -- ينضم إلينا أصدقاء ويتركنا آخرون ونبقى نحن معا فى كل حال, كنت أرى أنه طالما عبدالرحمن موجود فالدنيا بخير, وأن أحلامنا المعقوله أو المجنونه نستطيع تحقيقها بشئ من الصبر, ولدينا منه المزيد.

ولعدة اسابيع كانت تنتابنى حالات من البكاء لا أسطيع السيرطة عليها وكأن دموعى تهطل من سحابه لاسيطرة لى عليها.

يحدث ذلك على غير انتظار... قد اكون مع أصدقاء, أو فى الصلاة أو أقود سيارتى فى أحد الشواع, أو حتى نائما ... فكثيرا ماكنت أراه فى المنام, وهو يضحك سعيدا وأنا أبكى حتى تختنق أنفاسى فأنهض وكأننى على وشك الموت لأجد الدموع قد غسلت وجهى.

كان لابد أن أخرج من تلك الحاله بأى طريقه, فقد كانت أسير الى هاوية ليس لها أى معنى... فعبدالرحمن قتله لغم فوق تورغار أما أنا فسوف يقتلنى الحزن عليه وأنا على فراشى أو فى الطريق.

فإذا كان هو شهيد, فأى شئ أكون أنا"... ملحق شهيد...؟

لم يكن الخروج من تلك الحاله الصعبه بالامر اليسير, وقد شعر أصدقائ بما أعافيه فمدوا أيديهم نحوى للمساعدة, فلم أرفض.

لقد طلبوا منى مراقبهم إلى "شاهى كوت" ؛جنوب غرب جارديز« لحضور دورة تدريبيه أشارك فيها ببعض المحاضرات.

بدأت رحلتنا فى أوائل شهر يوليو... تحركت من أسلام آباد, وأردت أن آخذ أبنى خالد معى كى اتركه فى اور مع الشباب العرب هناك فقد كان لديهم دورة تدريبيه وافقوا على التحاق خالد بها رغم صغر سنه (14 عاما ونصف العام.(

وكان خالد بروحه الاجتماعية المرحة قد اكتسب الكثير من الاصدقاء العرب.

-بإستثناء عبدالحمن الذى كان على خلاف دائم معه بسبب طبعة الفوضوى -- وقت السفر تأخر عنى خالد بسبب بعض صفقاته التجاريه, فغضبت منه وسافرت منفردا ... لكنه أدركنى فى ميرانشاه, وفضت مرة أخرى مقابلته طلبت من سلطان أن يرسله الى اور بدون أن أراه.
بعثتنا المتوجهه نحو "شاهى كوت" كانت مكونه من سيارتين من نوع "بيك آب" مليئه بالشباب والمهمات اضافه الى دفعه أخرى سبقتنا صوب الحدود لاستئجار شاحنه كى تحمل المهمات الثقيله وترافقنا حتى شاهى كوت.
فى الصباح تحرك بنا الركب, وشعرت برغبه شديده فى رؤيه خالد واحتضانه مودعا أياه... كانت الفرصة قد ماتت فقد يكلفنا ذلك تأخير عدة ساعات, ولكن يرحب رفاق الرحله بهذا.
لم أكن مستريحا أن اترك وأنا مظهر له كان ذلك القدر من الجفاء.
وكان كل زملائه فى المعسكر يعرفون أننى رفضت أن أقابله.
لاشك أننى جاوزت الحد فى عقابه, فقد حاول مؤخرا التقرب منى الى أقصى حد. وهو الذى طلب منه ذلك, فقد طالبنى قبلها بالمشاركة الفعليه فى القتال وقال بأن جسمه قوى -- وقد كان كذلك فعلا -- فأخبرته بأن التدريب ضرورى قبل ذلك, فطلبنى أن ارسله الى معسكر تدريب فذكرت له معسكر اور فوافق على الفور, وبحماس ... تم سألنى فجأه عن عبدالرحمن وهل هو فى الجنه". فقلت له نعم. فسأل مرة أخرى وهل فى الجنه نأكل كل ما نريده". قلت له نعم. فضحك بنهم طفولى وقال أنا احب ذلك, نظرت إليه متعجبا , وقلت فى نفسى ماله يتكلم هكذا كأنه على وشك الذهاب إلى الجنه "... هل هذا معقول? كنا وقتها نجلس متجاورين فى أحد الباصات العامة فى طريقنا الى اليت فى إسلام آباد.
كانت الرحله الى شاهى كوت تجربه جديده بالنسبه لى... لقد ذهبنا قبلا سيرا على الاقدام فى عام 1981 والآن أعدو إليها مرة أخرى بعد سبع سنوات ولكنى فى شاحنه ضخمة, كنت أشعر بشئ من اللامبالاه حتى أننى لم أسجل يوميات الرحله, سوى يومين فقط منها, شعرت أيضا أننى قد تقدمت فى العمر منة عام مرة واحد, فكان جسدى مرهقا وخطواتى بطيئة... استطعت الوصول إلى الانتعاش مرات قليله أعود فيها الى النشاط والحيويه, ثم اسقط مرة أخرى هوة الارهاق واللامبالاة الحزينه.
وفى الواقع فإنه بعد إستشهاد عبدالرحمن فقد تراجعت قواى الجسمانيه كثيرا ... ولم أتمكن من أستعادتها سوى لفترة قليله متباعدة.
ونادرا ما استطعت أن أضحك بعمق, ذلك الضحك القديم الذى كان يترك إنتعاشا فى الروح وحيويوة فى البدن.
لكن التحسن نتيجة الرحلة كان كبيرا , كانت المجموعة قسمان, واحده من اليمين -- تابعه للقاعدة -- وأخرى من مصرهم خليط من القاعده وتنظم الجهاد, مع طبيب كنت معه نكون جناح المستقلين.
ومع ذلك إن مسلسل المصائب لم يتوقف... ولو أنصفنا لاعتبرنا أن ماحدث فوق مياه الخليج هو أحدى مصائب العام, وإذن لافادنا ذلك كثيرا فى تقييم طبيعة معركتنا القادمه وتفكير اعدادنا الجدد, نعم لقد بدأت أمريكا تكشف للعرب فى أفغانستان تدريجيا عن وجهها الحقيقى القبيح, ولكنهم لم يصدقوا مايرونه إلا بعد فوات الأوان.

فى يوم الثالث من يوليو, وفوق مياه الخليج وبينما طائرة "ايرباص" تحمل حوالى 290 راكبا منهم 65 طفلا من مدينه بندر عباس الايرانيه فى طريقهم الى دبى, اطلقت عليها احدى القطع الحربيه الامريكية صاروخ أرض جو, فهودت الطائرة محترقه بمن فيها.
وطبقا للوقاحة الامريكية المعتادة فقد اعتبرت بياناتهم الرسمية أن الخطأ هو من قائد الطائرة (!!). وفى وقت لاحق استدعى الرئيس الامريكى "رونالد ريجان" قائد القطعة الاسطول الامريكية فى المنطقة (ونستون), والذى ارتكب تلك المجزرة ضد طائرة مدنية, استدعاه الى البيت الابيض, وقلده وساما عسكريا رفيعا !! طبعا لم يهتم أحد مجاهدين -- من القيادات أو الافراد -- بدلالات ذلك الحدث وتراوحت التعليقات مابين الشماته وعدم الاهتمام.(!!)
وليس ذلك بمستغرب على تيارنا الجهادى الذى تبلور فى السبعينات الميلاديه في ظل الحقبه السعودية, فتبنى تيارها الفكرى القائم على السلفيه الوهابيه, وعتمد تماما على أموال السعوديه والخليج التى يخوضها سلفيو تلك البلاد للتشعبات السلفيه فى البلاد العربيه والعالم, واستمر الحال كذلك حتى ؛ حرب الخليج الثانية« انقطعت الوشائج التمويلية القادمة من السعودية للتيارات الجهادية.

ولكن الارتباط "العقائدى" ظل قائما حتى هذه الساعة.

(إقترب عيد الأضحى وغادر كثير من الأفغان قاعدة جاور متجهين الى منازلهم وراء الحدود. الدورة التدريبية للعرب لما يغادر منها أحد لأنها سوف تستكمل بعد العيد, قبل العيد بأيام تذكر خالد أمه واخوانه فى إسلام اباد فبكى وطلب أن يسافر كى يقضى العيد معهم.
فقال له قائد الدورة أن لامانع من سفره ولكن والده قد يغضب ذلك لأن الدورة لم تنته بعد, ثم اعطاه مهله للتفكير, وبعد قليل تراجع خالد عن السفر, ولكنه من وقت لآخر كان يسأل بعض مدربيه:
هل سيكون والدى مسرورا لأننى اكملت الدورة". فيؤكون له ذلك.
.عماد شاب ضخم الجثه, مرح وطيب القلب, كان من أبطل مصر فى المصارعة, وكان يدرب تلك الفنون فى الدورة. اخبرنى فيما بعد أن خالد كان مصارعا جيدا وبعد ضغط شديد اتقن العديد من المسكات.
وانه إذا حاول الفرار من درس المصارعة كان يرفعه الى أعلى ويخبطه على البساط... ولكنه كان قوى البنيه.
أخبرنى عماد أيضا أن خالد كان يرعى الغنم فى وقت الفراغ, وكان يأخذها فى رحلات فوق الجبال القريبه, ونتيجه لهذا الاهتمام ضاع منه خروفان!
(رغم مرور عامين على معركة اور فإن الكثير من آثارها كانت واضحة للعيان, فغارات مهدمه انطبقت على الارض, ومغارات جديدة حلت محلها أطنان من الحديد وشظايا القنابل, وقذائف طائرات مختلفه الاحجام لم تنفجر بعد.
ومأساه عيد الاضحى فى اور نشأت من هنا.
فبعض الشباب استهونهم فكرة انتزاع المتفجرات من تلك القنابل واستخدامها فى التدريب, ذلك رغم رخص سعر المتفجرات المبالغ فيه آنذاك, فقد كان ممكنا الحصول على ثلاثة كيلوجرامات من افضل أنواع المتفجرات بما يعادل دولار أمريكى واحد.
كان هناك قنبلتى طائرات من النوع المضاد للافراد, وهى ضخمة الحجم مثل برميل صغير مفتوحة الطرفين ذو سطح به حزوز تقسمه الى مربعات صغيرة بارزة مثل القنابل اليدوية البرطانية من نوع "ميلز."
رأيت تلك القنبلة قبلا والتقط لها بعض الصور, وكانت صغيرهما هى صاحبه المأساه, أما باطن القنبله فكان من المتفجرات النقيه ولكنها مليئة بالاسلاك التى تعبر من باطن كتله المتفجرات وبشكل يثير الريبه, كان أفضل مايمكن عمله مع ذلك النوع هو ما كان يفعله الأفغان.. أن يفجروه من بعد, وقد عثرنا على واحدة من هذا النوع من جرديز عام 86 لكننا استمعنا الى نصيحة الافغان وتركناها.
(كان المتدربون قد نجحوا فى إنتزاع بعض المواد المتفجرة من قنابل الطائرات القديمة, ويوم الخميس بدأو العمل فى تلك القنله البرميلية المحززة, ونجحوا فى دفع الكتله المتفجرة من أحد طرفى البرميل, ولكن مسئول الدورة طالبتم بتوقف عن ذلك العمل نهائيا ... وكان ذلك قبل غروب شمس يوم الخميس 21 يوليو.
صباح الجمعة 22 يوليو -- التاسعة من ذى الحجة 1408ه- وقفه عيد الأضحى.
كان يوم راحة فى اور ... معظم الشباب العرب صائمون فى تلك المناسبه.
لذا فأكثرهم نائمون فى هذا الصباح الباكر... لكن جماعة المتفجرات رأوا أن يكملوا عمل الأمس في قنبلة الطائرة حتى يستفيدوا من وقتهم.
وبدأ أصوات الطرق على القنبله تعلوا... مع أصوات الشباب... فأستيقظ البعض وبدأوا يتحلوقون حول القنبله كى يشاهدوا المادة المتفجرة وهى تبرز الى الخارج تدريجيا ... استيقظ خالد وأخرون, يتسلون بمشاهدة ذلك الحدث.
قائد الدورة كان نائما خارج المغارات فى مكان قريب من مكان العمل, فصاح بهم: ألم أنهكم عن ذلك العمل بالأمس.
فطمأنوه أنهم على وشك الانتهاء... وكان ممدا على جانبه متكئا على مرفقه وهو يتكلم معهم... ولم يلبث أن ضاعت الصورة من ناظريه, ودوى إنفجار رهيب, وتناثرت فى الساحة الممتده أمام المغارات أثنى عشر جثه, على مسافة قريبة من المغارة التى هدمتها الطائرات فى حملة عام 86 وضاع فيها عدد كبير من مجاهدى حقانى.
وهاهم الآن ضحايا جدد... أربعة من الأفغان... وثمانية من العرب, من بينهم ولدى خالد.

؛ لقد كانت مجزرة هكذا وصفها صابر الصعيدى زميلنا في بارى. وقد كان حاضرا تلك الدورة, ولكنه كان نائما فى أحدى المغارات ساعة الانفجار... قال: لقد خرجنا مسرعين على صوت الانفجار لنجد الاشلاء تملأ الساحة.. فكنا نجمع القتى داخل البطاطين وننقلهم الى السيارات, قائد الدورة أصيب بشظايا فى عينيه تركته بعد ذلك شبه أعمى... أما خالد فقد كان على بعد خطوات قليله من القنبله. ولم يشأ صابر أن يخبرنى بالتفصيل عن أصابه خالد وأراد أن يهون الامر فقال: كانت أحدى قدميه معلقه على جزء من الجلد واللحم, وكان مصابا من الوجه, وقد مات قبل أن تتحرك بنا السيارة خارج اور.

أما الطبيب المصرى الذى استقبل القتلى والمصابين فى مستشفى ميرانشاه, فقد سألته عن إصابه خالد, ولكنه أجاب تلقائيا على عادة الاطباء الذين تعودوا على طمأنه مرضاهم مهما كانت الحالة ميئوس منها... فقال: لا لا ... كانت بسيطة.

فنظرت الى عينيه فقد ظننته يمزح, لأن الولد قد مات وأنتهى الأمر, وما كان ذلك ليحدث لولا أن الاصابه قاتله, فكيف يقول أنها بسيطه؟ لكن وجهه كان محايدا ولايحمل أى تعبير ثم ودعنى منصرفا بسيارته.

علمت بالحادث لأول مرة عندما وصلنا الى ميرانشاه فى أواخر شهر أغسطس, جلست بعد صلاة المغرب مع أبو عبيده وأحد الأطباء الشباب, ثم تطرف الحديث عن اور والذين قتلوا وأصيبوا هناك من العرب, فأزعجنى الحديث وسألت عما حدث ومتى, متساءل أبو عبيده مندهشا : ألم تسمع عنه ...؟لقد ارسلنا رساله الى أبى حفص فى شاهى كوت ألم يخبركم بها...؟

قلت: لم يخبرنا بشئ... ماذا حدث فى اور.

فبدأ يروى القصة حتى وصل إلى أسماء بعض القتلى. فسألته عن خالد كيف هو "... قال لى بهدوء: البقيه فى حياتك.

أصابتنى الدهشه, وتساءلت مرة أخرى: هل قتل خالد؟

فأجاب: نعم... يرحمه الله.

لذت بالصمت ثم استدرت فى اتجاه القبله, وسجدت لله شكرا.

وما أن اعتدلت حتى ابتسم اباعبيده وقال: كنت أعلم أنك ستفعل ذلك...

ذهبنا مع مجموعة المتدربين الذين عدوا من شاهى كوت, وقدموا لى العزاء جميعا ... وكانت رقتهم غير متوقعه خاصه شباب اليمن.

صافحن أحدهم قائلا : نحن جميعا أولادك, فترقرقت الدموع فى عينى ولكن ظلمه المكان سترت من هذا الضعف.

كان الجميع مرهقون, ناموا فى الغرفات وساحة البيت كيفما اتفق, فسوف نتوجه جميعا الى بشاور صباحا.

لم أستطع النوم فقضيت جزءا كبيرا من الليل فى الصلاة والبكاء, حتى غلبنى النوم... فنمت حيث أنا.

)))

وصلنا بشاور عند الظهر, وفى مكتب حقانى تعرفت على أبو بصير, وهو شقيق الشهيد أبو دجانه الذى قتل فى نهرين عام 86. كان صورة طبق الاصل من أخيه الشهيد حتى فى الطباع والميل الى الفكاهة.

بعد أن عزانى فى استشهاد خالد... جلس الى التليفون كلى اتصل مع اسرتى فى إسلام آباد, فوجدت ابنتى الصغيرة, فسألتها عن أمها فقالت أنها خرجت فسألتها: ألى أين".... فأجابت بأن "شير" قد مات, فسألتها عدة مرات كى اتأكد... ثم ودعتها وقلت لها أننى قادم إليهم. وضعت سماعة التليفون وأنا استرجع.

فسألنى أبو بصير عن الخبر... فقلت له أن "شير" هذا هو طفل أفغانى عمره عامان كان نرعاه فى بيتنا لأن أمه قد ماتت وأبوه غير موجود. وقد كان الطفل مريضا ثم تحسن... ولكنه الآن مات... ليكون ثانى حالة وفاه عندنا خلال شهرين.

قال أبو بصير مبتسما : إن الله إذا أحب عبدا إبتلاه... فلا تقل لى أنك من الاولياء.

فضحك قائلا : لن يصدقنى أحد إذا ادعيت ذلك.

اتذكر يوم وقعه العيد الاضحى لعام 1408ه-, ونحن فى شاهى كوت, كان الجميع صائمون, وقد ألغت جميع الدروس العملية, وكان مفروضا أن القى محاضرة بعد العصر لمجموعة المصريين, وكانت المحاضرات عبارة

عن قراءة ومناقشه فى كتاب "حرب المستضعفين", المنطقه زراعية من الطراز الأول رغم أنها وسط سلاسل الجبال, لكنها غنيه بالمبياه واشجار الفاكهة.
استيقظت مبكرا وذهبت وحيدا وسط حديقة واسعة من الأشجار كنت مهموما مكتئبا , فقد شاهدت اثناء نومى ليلا عبدالرحمن يجلس مع إبنى خالد وكلاهما يضحك وقد غمرهما البشر والسرور, بينما أنا واقف من بعيد أنظر إليهما وابكى بحرقة, وهما لايشعران بى.
وكنت أثناء ذلك متعجبا وأسأل نفسى, ماذا جمع عبدالرحمن وخالد مع أن عبدالرحمن كان دائم الشجار مع خالد وانتقاده له لكونه "لايسمع الكلام". قصصت رؤياى على بعض الزملاء متعجبا لكن لم أطرح عليهم تساؤلا أوحت به الرؤيا فى نفسى: فهل يعقل أن يصبح خالد شهيدا أيضا ويلحق بعبد الرحمن.؟
كنت أنا نفسى استبعد ذلك الاحتمال.
فى رابع أيام عيد الاضحى خرجنا فى تدريب ترفيهى الى ساحة رماية المسدسات, كنا ثمانية أفراد, ونتائج رمايتنا ليست مشجعة بسبب قدم المسدسات ومع ذلك اندمجنا فى مسابقة.
كانت الطائرات تمرق فوقنا بشكل روتينى, وعلمنا أنها تقصف بشده منطقة "أورجون", وظننا وقتها أن هناك هجوما وشيكا على الاورجون خاصة وبعض الناس هنا اخبرونا عن هجوم آخر وشيك نحو خوست عبر طريق زدران مرة أخرى, طبعا كانت كل المعلومات كاذبه وكانت القوات الحكومية على وشك الانسحاب من اورجون فى إطار خطة عامة لتقليص الانتشار العسكرى للجيش بعد انسحاب السوفييت.
لعدة ايام كانت طائرات السوخوى تمر من فوقنا عدة مرات فى اليوم كنت قلقا بشكل خاص من ساحة التدريب التى أمر أبوحفص بشقها وسط المنطقة الشعبية القريبة من المقابر. فقد شق التراكتور طريق بطول مئة متر وعرض عشرة أمتار وفى نهايته تقاطع معه طريق أخرى بطول عشرين متر وعرض خمسة أمتار.
كانت الطرق المشقوقه ذات لون جديد أصفر فاقع فى وسط ارض مكسوة بالعشب والشجيرات الصغيرة ذات اللون الزيتونى الكابح, حذرت أبو حفص من ذلك سوف يجذب إنتباه الطيارين, ولكنه كعادته مستخف بالاخطار... كما أن لقب شهيد جاهز للتعليق أمام أى أسم فى أفغانستان.
حانت لحظة الحقيقه ونحن فى مسابقة الرماية, كنا جلوسا علي الارض بينما ذهب أحدنا صوب شاخص الرماية ليحدد عدد الاصابات.
وما كاد يصل الى الشاخص ونحن ننظر اليه بينما تم فوقنا إحدى الطائرات وإذا بانفجار هائل يدوى فوق هضبه صغيرة على بعد أمتار من الشاخص... تم انفجار رهيب آخر على هضبة خلفيه الى اليسار... نهضنا نركض... وتوجهت غريزيا ألى مجموعة من التلال خلفنا إلى بعد خمسين مترا ... ولكن قنبله ضخمة أخرى سقطت فوقها... ثم قنبله أخرى من مكان ما إلى الخلف ولفتنا سحابه سوداء كثيفه من الدخان والأتربه... ظللت محافظا على نفس الاتجاه, رغم القنابل التى تساقطت على التلال التى أقصدها والدخان الذى أخفاها تقريبا.
كان أبو حفص خلفى, وناداني أن أنحرف يسارا فى منطقة مفتوحة ولكن لم تسقط بها قنابل والرؤيه فيها واضحة.
تحولت الى حيث قال أبوحفص فوجدت أبوجهاد وآخرون قد سبقونا فى نفس الاتجاه والجميع يركض بأقصى قوة... وليس من مكان يصلح للأختباء, تقطعت أنفاسى وأنا أفر من الشهادة مع اخوانى, ولكن لم تفتنى ملاحظة أن غريزتى التى كنت معتزا بها, والتى كنت أعزو اليها. بفضل الله -- بقائ حيا حتى ذلك الوقت قد طالها العطب هى الأخرى... وهى غريزة أن اكون فى المكان المناسب فى الوقت المناسب, فأكون بذلك خارج دائرة الموت ولو بسنتميترات قليله, أردت أن أضحك لكن لم استطيع لأن انفاسى قد تقطعت, أريد أن أضحك من ذلك الغباء الذى جعلنى أركض صوب القنابل وهو تنفجر أمامى فوق تلك التلال القريبه.
هل أحزانى أتلفت "مواهبى" "... أم أنها رغبه مكتومه فى التخلص من الحياه بعد ذهاب عبدالرحمن.؟
أبتعدنا نسبيا عن مكان الخطر وتوقف تساقط قنابل الطائرات, فبدأ الشباب يتضاحكون, احتجت وقتا أطول كى ألتقط أنفاسى قبل أن أشاركهم ضحكهم, فالجميع يفعلون ذلك بعد زوال الخطر وعدم حدوث خسائر كنوع من الاعتذار عن علامات الخوف والفرار من القتل أثناء الخطر.
قضينا حوالى ساعة من مكان بعيد ولما لم تعد الطائرات عاد إلينا الاطمئنان ورجعنا إلى ساحة الرماية كى نبحث عما فقدناة من أشياء, صاحبنا الذى كان قريبا من الشاخص وقت سقوط القنبله كان يبحث عن قلنسوته إلى

سقطت عن رأسه عندما انبطح أرضا ساعة الانفجار عندما وجدها دفعها ضاحكا وهو يصيح, وجدتها... وجدتها. هل كان سعيدا لأنه وجد قلنسوته حقا ؟ أم لأن الخطر قد إبتعد مؤقتا على الأقل؟
لقد كان داهما فالخطر مازال قائما ولكن الذى تغير هوالشكل فقط. فقد وجد عقربا داخل القلنسوة.!!
)))
قضينا ليلة مشوشه. فقد اذاع راديو مدينه جرديز عن وجود مرتزقه وإرهابيين فى "شاهى كوت" وأن الطائرات قصفتهم وقتلت عددا منهم.
كنا نسكن فى بيت صغير وسط الاشجار تطل عليه هضبه واسعة منبسطة تسيطر تماما على مادونها, وكنت أخشى أن ينزل العدو قواته فوق تلك الهضبه بواسطة طائرات الهيلوكبتر, وزاد خوفنا نبأ نقله إلينا أحد الأفغان أنه شاهد ما يشبه الهيلوكبتر فى الطرف الآخر من الهضبة.
قضينا الليله فى حاله إستنفار... ومعظمنا فوق الهضبة بكل الاسلحة المتاحة لدينا. وأن أشرقت الصباح حتى بدأنا الانتقال الى مركز آخر الى الجنوب يدعى "مركز بلال" فى منطقة وعرة جدا وفيرة المياه ملتصقه بنهاية جبال زدران التى تكسوها غابات صنوبريه كثيفه تكثر فيها الغزلان البريه, وكانت الاشتباكات بين قبائل زدران وقبائل "زورمات" و "شاهى كوت" شيئا معتادا بسبب النزاع على الأرض وأشجار الغابات وحيواناتها البريه.
واثناء تواجدنا اصطاد بعض رجال شاهى كوت عددا من الغزلان من غابات زدران, وردت قبائل زدران بأن اصطادت ثلاثة من رجال زورمات وقتلتهم... وهكذا...

بعد عدة أيام فى مركز بلال زارنا مولوى منصور بعد طول انتظارنا له ... ولكن الزيارة لم تكن موفقه بشكل كامل.
لقد كان مع مولوى منصور ثلاثة شباب من حرس الثورة فى ايران -- وكنا قد رأيناهم فى مناسبه سابقه وهم يدربون رجال منصور على استخدام الهاون, وقد قابلهم شبابنا بالتجهم المعتاد في حالات كهذه, ومع ذلك كان واضحا أن حرس الثورة هؤلاء يلاقون ترحيبا وتعاونا من بين سكان زورمات ومجاهدى مولوى منصور.
كنا عائدين من أحدى المحاضرات وصعدنا الطريق الضيق المائل نحو الغرفة التى نزل فيها مولوى منصور وضيوفه. والتقط أحدهم لنا صورة بكاميرا كان يحملها فى يده, خلسه بدون أن ننتبه, لكن صوت الكاميرا كان مسموعا ... ومفهوما . وكانت فرصه الموروثه بين الشيعة والسنه.
لقد أربك ذلك الحادث رد الفعل العصبى من جانب إخواننا بقيادة أبو حفص, أربك محالة الشيخ منصور عقد جلسه تعارف وتفاهم بين جماعتنا وبين الضيوف الايرانيين.
الضيف الايرانى فتح الكاميرا ونزع منها الفيلم وهو مغضب ومنفعل.
دعانا الشيخ منصور جميعا الى داخل الغرفه كى نتحدث. فتلكم الضيوف من إيران عن الثورة الإسلامية فى إيران, والحب التى فرضتها العراق على الشعب الإيرانى وثورته, واعتداءات أمريكا وكيدها لذلك الثورة, وتدخلها المباشر فيها, وتمويل الدول العربية للعراق وصفقات أسلحتها... الخ.
إلتزم اخواننا صمتا "عقائديا " كاملا ... فتلكم الشيخ منصور قليلا ... وعلقت على كلامه إنقاذا للموقف, وانتهت الجلسه بلا أى فائده. وكنت أدرك تماما مشاعر مولوى منصور دون أن يفصح عنها, وكنت أدرك منذ فتره عبر تلميحاته أنه يود فى عقد تفاهم عملى بين المجاهدين العرب -- أو المخلصين منهم -- وبين الجمهورية الاسلامية فى أيران -- ثم جماعة منصور واجنحته المعارضه داخل منظمات المجاهدين خاصه ولئك المجاهدين فى الجبهات بعيدا عن بشاور والسطوة الامريكية السعودية عليها.
كان الشيخ منصور معجبا بآراى, وكان يظن خطئا أننى من زعماء العرب فى أفغانستان, وأن لآرائى تلك انصارا ومؤيدين بين العرب, وأن أصحابى مثل أبو حفص وأبوجهاد, وآخرين من تنظيم الجهاد الذين تعرف عليهم من خلالى, وبناء على ذلك سمح لى باقامة معسكرات فى شاهى كوت, لقد توقع أن هؤلاء يتبنون نفس الافكار.
لقد كان مخطئا , ولما كان كلامه معى فى ذلك تلميحا فقد أجبته تلميحا ولكنه لم يشأ أن يفهم وضعى المذرى بين العرب عامه وبين أخوانى تحديدا.
ومع ذلك كانت تلك الدورة من أمتع الدورات, والمجدد اليمنيه التى درست لهم حروب العصابات كانت من أفضل المجموعات التى رأيتها من حيث الذكاء الفطرى الحاد والقدرة على الاستيعاب.

كانت دورة لاتنسى بالنسبه لى, ولمن بقى حيا ممن حضروها من مصريين ويمنيين, وكانت المحاضرات التى ألقيتها فى حروب العصابات, أو شاركت فيها فى التكتيك خير معين لى فيما كتبته بعد ذلك أو ألقيت من محاضرات. خاصه فى معسكر جهاد والى فى خوست.

)))

فى الايام الاخيرة فى شاهى كوت داهمنا حدثان جليلان كان لهما أبلغ الاثر فى قضيه الجهاد فى أفغانستان, الاول هو اغتيال ضياء الحق, والثانى هو ايقاف الحرب العراقيه الايرانيه.

ولكن بما أننا عزلنا أنفسنا تماما عما يحدث فى أيران, واخذنا منه الموقف السعودى الامريكى سياسيا وشعوريا على الاقل فإننا سنتجاوز عن الحدث الثانى, ونزكز على حادث أغتيال الرئيس الباكستانى, الذى كان آخر الكوارث الكبيرة لهذا العام بالنسبه لقضيه أفغانستان, واكثر الكوارث إثارة وغنى بعناصر التشويق البوليسى, كشأن عمليات إدارة الاستخبارات الامريكية C.I.A.

أمريكا تفترس أولادها
إغتيال ضياء الحق

كثيره هى الكتب والدراسات التى تناول هيئة المخابرات المركزية الامريكية CIA وتاريخها وسياستها ... ولا غنى لأى مواطن فى العالم من التعرف بشكل كاف على تلك الوكاله, طالما أن أمريكا هى التى تحكم عالم اليوم... وأن تلك الوكاله هى الوجه الحقيقى للولايات المتحدة.

سنقدم هنا موجز صغيرا عن تلك الوكاله الهدف منه موضعى للغاية, وهو محاوله فهم أكثر واقعيه لجريمه إغتيال الرئيس الباكستانى ضياء الحق.

ولأن قضيه ضياء الحق لم يصل التحقيق فيها تحديد شخصية الجانى, وذلك لسبب بسيط أن الجهات التى أشرفت على التحقيق هى نفسها الجهات التى اشفت على عمليه الاغتيال.

وقد يستغرب البعض ممن أثرت فيهم آله الدعاية الشيطانيه أن دوله محترمه وكبيرة مثل الولايات المتحدة يمكن أن تقوم بمثل تلك الجرائم البشعه -- وربما نسى هؤلاء, أن أمريكا نفسها ظهرت الى الوجود كنتيجه لواحده من اكبر الجرائم البشعة فى التاريخ, جريمه إبادة اجناس بشريه وحضارات كانت تسكن القارتين الشمالية والجنوبيه فى أمريكا, وفوق ذلك الجبل الهائل من الجماجم والاشلاء أقاموا هناك فرعا جديدا لحضارة الرجل الابيض المسيحى.

ثم لأجل زراعة ما اغتصبوه من أراضى شاسعة تفوق قدرتهم على العمل, قاموا بخطف اكثر من عشرين مليون افريقى من بلادهم فى القارة الأفريقية, وكان معظمهم مسلمون, كى يضيفوا فى سجلهم "الانسانى" اكبر عمليه استرقاق فى تاريخ البشريه.

فالوحشيه والهمجية والانانية والارهاب الجشع والاحتلال هى مجرد مقدمة لقاموس طويل لمواصفات الخلق الامريكى أو بمعنى أشمل خلق الحضارة الغربية, حضارة المسيحى الأبيض الذى أذل البشريه وأتلف الكون برا وبحرا وجوا.

(من النشاطات الامريكية العادية قتل "الآخرين" طالما يشكلون تهديدا ولو محتملا لمصالحهم فى أى مكان, ولا فرق أن يكون هذا "الآخر" رئيسا للدوله أو للوزارة, أو مفكرا أدبيا أو صحفيا.

من أفضل ماكتب فى ذلك هو شهادة وزير الدفاع الامريكى السابق روبرت ماكنامارا وقد عمل مع كل من كينيدى وجونسون من الرؤساء الامريكيين فى الستينات, وبعد أن ترك الخدمة بثلاثين عاما أصدر كتابا فريدا من نوعه يحتوى صرخه ضمير استيقظ بعد ثبات طويل, وتكلم عن أخطائه ضمن أصحاب القرار الامريكيين فى ادارة حرب يتنام والتى قادت الى انهار من الدماء والخراب فى تلك البلاد.

يقول مكنامارا: "حاولنا اقناع نجوين دييم -- رئيس يتنام الجنوبيه وحكومته أن يغير موقفه من المعارضه, ومن ثم وجدنا ضرورة إقصائه عن كرسى الرئاسه عن طريق إنقلاب خطط له CIA ونفذه جنرال فيتنامى, فى 2 نوفمبر 1963 قتل "دييم" واخيه "نهو."

وعندما تسلم الرئيس كندى الانباء حزن لمقتل الرئيس الفيتنامى وأخيه إذا لم يكن يرغب فى أن يلقيا نفس الصير.

ولم تمضى سوى عشرون يوما حتى أغتيال الرئيس كندى فى مساء الجمعة 63/11/22 عندما كان فى سيارة فى طريقه لإلقاء لكمه فى دالاس."

بالطبع اكثر التحليلات تشير ألى أن المخابرات الامريكية نفسها هى التى قتلت الرئيس كندى. وكما حدث مع ضياء الحق لم تكشف التحقيقات الهوية الحقيقية للجانى. لأن جهه واحدة هى التى اشرفت على كل من تنفيذ العمليه ثم التحقيق فيها.

احتلاف آخر بين حاله "دييم" و "ضياء" وكلاهما عميل للسياسة الامريكية, ثم أصبح فى وقت ما عقبه يجب ازالتها.

ولكن فى حالة "ديم" كان المطلوب انقلابا بدون قتل الرئيس, ولكن المنقذين للانقلاب قتلوا الرئيس وأخيه, وهو ما أحزن كندى.

ولكن فى حالة ضياء الحق كان المطلوب هو قتل الرئيس ضياء بدون إنقلاب عسكرى, لأن الانقلاب كان سيأتى بجنرال آخر على عرش باكستان, وكانت المصالح الامريكية تقتضى تسليم ذلك العرش "لبى نظير بوتو", فبرنامج المصالح الامريكية فى باكستان وأفغانستان يحتاج إلى مؤهلات مثل تلك الشخصية المعقده.

ننتقل الى تقرير سبق كتاب ماكنامرا بخمسه عشر عاما نشرته مجله شتين الالمانية (انظر جريده الفجر الاماراتيه 1980/8/2م صفحة 9(

وميزه ذلك التقرير أن يرصد بدايه فترة انتعاش المخابرات الامريكية عندما فهمت أن السوفييت قد "غزوا" فى أفغانستان فكانت الفرصه السانحة كى تنفض CIA عن نفسها الغبار فأعادت تركيب الانياب والمخالب التى انتزعت منها فى اعقاب فضيحة "ووترجيب" والتى ضبطت فيها الوكاله تمارس نشاطها ضد الجنس الابيض المتفوق وداخل الولايات المتحدة نفسها.

والرئيس كارتر "الرجل الاخلاقى !!" فتح الابواب واسعة أمام وكاله الاستخبارات كى تنطلق الى آفاق الجريمه الدولية وهو الذى دخل البيت الابيض رافعا شعار تطهير حظيرة CIA من الروث.(!!)

وبسرعة أقرب مجلس الشيوخ مشروع جديد للتخفيف عن تلك الوكاله, اهم نقاطه كانت:

..أن تخضع CIA لمساءله لجنتين فقطمن الكونجرس بدلا من ثمان لجان كما كان الامر فى السابق.

-يحق للوكاله استخدام المراسلين الصحفيين والمبشرين والمعلمين والفنيين الامريكيين في الخارج من أجل أعمال تجسسيه

--الذين يعتزلون العمل فى الوكاله عليهم حفظ اسرارها, والذي يفشى أسماء عملاء الوكاله فى الخارج أو الداخل عليه أن يضع فى الحسبان عقوبه السجن, كذلك الصحفيين الذين ينشرون أسماء سياسيين تمت رشوتهم من قبل الوكاله فإنهم سوف يتعرضون للملاحقة القانونية.

قال التقرير أيضا أن رئيس المخابرات المركزية الامريكية وليام كولبى قد أعترف فيها بعد بأن CIAقد دبرت فى الستينات - ومن خلال قسم الاعمال القذره فى الوكاله نفسها -- لقتل واغتيال العديد من زعماء ورؤساء دول العالم.

وقال التقرير أيضا أنه قد تم التحقيق فيما مضى فى بعض الاعمال الاجرامية التى كانت تقوم بها الوكاله ضد الامريكيين الذين رفعوا أصواتهم ضد الحرب فى فيتنام أو من أجل حقوق الانسان فى الولايات المتحدة.

جاء فى التقرير أيضا " كانت قائمة إغتيالات رجالات وزعامات العالم والتى وضعتها وكاله الاستخبارات تعطى صورة واضحة عن الزعماء فى دول العالم الثالث الذين ترغبهم الوكاله والذين لاترغبهم كما حاولت الوكاله إزاحة بعض السياسيين الذين سبق لها واجلستهم على العرش ولذلك عندما هدروا المصالح الامريكية."

كتب ذلك التقرير فى وقت كانت الوكاله المذكورة تخرج من مرحلة مرض ونقاهه, ولم تكن ميزانيتها تتعدى 1.5 مليار دولار فقط, مع خمسه عشر ألف عميل فى أنحاء العالم المختلفه.

أما وقت اغتيال ضياء عام 1988, تم اغتيال الدكتور عزام عام 1989. ثم مطاردة العرب فى بشاور و"صحارى العالم", حسب قول ور بوش عام 1993 فالوضع مختلف والقوة مضاعفه, ولكنهم كرروا ما قاله أسلافهم عام 1945 عند هزيمة المانيا النازيه عندما قال هؤلاء الجواسيس ؛ أن الحب لم تنته, ولكن العدو هو الذى تغير« ثم اندفعوا للعمل ضد السوفييت, أوعلى الاصح محاربة الدول الفقيرة تحت ستار مكافحة الشيوعية والنفوذ السوفيتى.

ولما نفقت الشيوعيه فى أفغانستان, وإنهار الاتحاد السوفيتى على أيدى الافغان, إحتفل الامريكان وحدهم بالنصر وقالو أن هذه المرة: ؛ لقد قضينا فى القرن العشرين على أثنين من أهم اعداءنا وهم النازية ثم الشيوعية, والباقى الاسلام.»

إذن ... وكما فى كل مرة الحرب مستمرة لكن العدو هو الذى تغير.

)))

نعود الى حادث اغتيال ضياء الحق ونعتمد فيه على المعلومات التى ذكرها المعميد يوسف فى كتابه "فخ الدب" فى الفصل التهيدى الذى بدأ به الكتاب وهو من أمتع فصول ذلك الكتاب المثير.

أما الفقرات التى سوف توضع بين قوسين كبيرين فهى منقوله حرفيا من نفس النص... إسم هذا الفصل: الحطام... والمجرمون... وتغطيه الجريمه.

يقول الكتاب: عندما إرتبطت طائرة النقل التابعة للجيش الباكستانى من طراز C- 130 التى كانت مطليه بألوان التمويه العسكرى, كانت مائله بزاوية 65 درجة كانت فى وضع إنقضاضى إلى الأسفل, وكانت قلابات الاجنحة الى أعلى والجناحان مستويان, وكانت أجهزة الهبوط مرتفعه ومغلقه, وكانت المحركات الاربعة تعمل بطريقه عادية, ووقع الارتطام بسرعه 190 عقده.

وبعد لحظة قصيرة إنفجرت خزانات الوقود محدثه كدة عظيمه من اللهب برتقالى اللون والذى إلتهم الطائرة, تبين فيما بعد أن كلتا الساعتين فى غرفه القيادة تشير الى الساعة الثالثة وإحدى وخمسين دقيقه بالضبط, بعد ظهر يوم صاف مشمس, على بعد بضع أميال شمال المدينه العسكرية الصغيرة "بهاول بور" وقبلها بخمسه دقائق بالضبط كانت قد أقلعت لبدأ الرحلة الى إسلام آباد التى تستغرق 70 دقيقه, وبعد دقيقتين من الرعب قتل جميع الركاب فى لحظة واحده. ...

وهكذا قتل الرئيس الباكستانى ضياء الحق ومعه الرجل الذين كان يمكن أن يخلفه... "الفريق اختر عبدالحمن خان" رئيس هيئة رؤساء الاركان المشتركه, وبذلك ذهب أقوى رجلين فى باكستان, ورئيس الدولة والرجل الذى ترأس هيئة الاستخبارات لمدة ثمان سنوات حتى سنه 1986, بضربه واحده, وفقد قادة المجاهدين الافغان الرجلين اللذين كانا اكثر مؤيديهم نفوذا.

وقتل أيضا السفير الامريكى أرنولد روفائيل الذى عرف الرئيس لمدة إثنى عشر سنه, وكذلك قتل العميد "هيررت واسدوم" الملحق العسكرى الامريكى فى إسلام آباد, وقتل كذلك 8 لواءات باكستانيين مع معاونيهم, وطاقم الطائرة. أى 31 شخصا فى المجموع.

يقول الكاتب أنه لا الرئيس ضياء ولا الجنرال اختر كان مفروضا أن يكونوا على نفس الطائرة. فالمناسبه كانت حضرو عرض للدبابات الامريكية M -1 ؛ ايرامز« والتى كانت امريكا حريصه على بيعها لباكستان فى اطار صفقه بمليار دولار. ومثل تلك المناسبات لايحضرها هؤلاء وكان يكفى نائب رئيس اركان الجيش "ميرزا أسلم بيك."

ولكن بعد إلحاح شديد على الرئيس من جانب اللواء "محمود دورانى" الذى كان وزير دفاع سابق وملحق عسكرى فى واشنطن وأخيرا قائد للواء المدرع. والمعنى مباشرة بموضوع تجربه الدبابه الجديده. لقد وافق ضياء الحق على الذهاب وإن لم يكن مقتنعا بالذهاب.

وأيضا الجنرال أختر فقد كان لديه موضوع للنقاش مع الرئيس فدعاه لمناقشه الموضوع أثناء الرحله الجويه.

أما عن استعراض الدبابات فكان محرجا جدا للامريكيين خصوصا أمام كل هؤلاء الضباط الكبار من الجيش الباكستانى, فقد عجزت الدبابات إيرامز الامريكية ان تصيب أهدافها برغم الدعايه الكثيفه التى تمتعت بها... وهكذا تبخرت صفقه المليار دولار فى حرارة الشمس.

وصل ضياء الحق ومرافقيه حوالى الساعة الثالثه والنصف, وصلى باتجاه مكه قبل أن يسلم على مودعيه, وكان اقنع الامريكيين باصطحابه فى رحله الرجوع ووافقا على ذلك بدون ابداء تحفظات, واعتزر اللواء بيح عندما حاول ضياء الحق إقناعه بالركوب معه بأن عليه أن يستقل طائرته الخاصه حيث كان لديه بعض الاعمال فى لاهور, وكان معروفا عن ضياء الحق أنه كان يصطحب معه اكبر عدد ممكن من كبار الضباط فى الرحلات الجوية لتقليل إحتمال عمل تخريبى, وقبل الاقلاع بوقت قليل وصل صندوقان من المانجو للركاب وتم تحميلها بدون تفتيش مع صندوق يحتوى على نماذج مصغرة للدبابات

ويستعرض الكاتب قائمة طويله بأعداد ضياء الحق فى الداخل والخارج, فيبدأ بعائله ذو الفقار على بوتو الذى أعدمه شنقا فى سجن روالبندى فى 79/4/4.

ثم سجن إبنته "بى نظير" وأمها "نصرت" ومنع حزبهما السياسى, وعاش أبناء بوتو فى المنفى وقد صدرت عليهم احكام غيابيه خطيرة. وشكل مرتضى جماعة ارهابيه سماها ذوالفقار واتخذ مركزا لها فى كابل فى نفس مقر منظمة التحرير الفلسطينية هناك, ومن كابل ودمشق نظمت هذه الجماعة حملة قتل وتخريب شملت إختطاف طائرة تابعه للخطوط الباكستانية عام 1981. أما شاه نواز الابن الثانى فقد مات مسموما فى باريس وسط إشاعات اتهمت ضياء الحق بقتله.

وحتى داخل الجيش كان أصدقاء الرئيس قليلون, وكان يتخلص ممن يشك أنهم قد ينافسوه مستقبلا فكان إما يخرجهم من الجيش أو يضعهم فى أماكن بعيده عن العاصمة, وكان يراقب ترقيات الضباط الى رتبه لواء فما فوق.

أما الاعداء الخارجيون فبدأ بالسوفييت ودور ضياء الحق فى دعم المجاهدين, وتشجيع هجماتهم على القوات السوفيتية المنسحبة وكان نصف الانسحاب قد تم وقت وقوع الحادث.

وقد إشتاط السوفييت غضبا وارسلوا تحزيرا لضياء الحق عبر السفير السوفيتى فى موسكوا بأنهم -- إى السوفييت -- ينوون أن يلقنوا ضياء الحق درسا.

ثم الهند التى حاربت باكستان أربع مرات وتتهمها بإيواء وتدريب وتمويل الانفصاليين السيخ: كونت جهاز استخبارات خاص لمكافحة النشاط الباكستانى اسمته (راو.(

حتى الحكومة الامريكية لم تبك على موت ضياء الحق, فقد كان تقرير وزراء الخارجية أن ضياء الحق قد تعدى العمر المفيد بالنسبه لهم, ومع رحيل السوفييت من أفغانستان كان آخر شئ تريده أمريكا أن يحل حكم إسلامى أصولى محل الحكم الشيوعى فى كابل, وكان السياسيون الامريكيون يحلم بقوة اسلامية تمتد من إيران وتشمل أفغانستان وباكستان, وفيما بعد تمل إيضا أقاليم الاوزبك والتركمان والطا يك فى الاتحاد السوفيتى.

ومن وجهه النظر الامريكية فإن هذه الرقعه الشاسعة الملونه بلون أخضر على الخريطة سوف تكون أسوأ من أفغانستان الملونه بلون أحمر.

تكونت لجنه فنيه من سلاح الطيران برئاسه العميد طيار عباس ميرزا مع ثلاثة من كبار ضباط سلاح الجو الباكستانى, واستدعيت لجنه فنيه أمريكية على عجل من أوربا تضم سته من الضباط.
وكان رأى اللجنه أن طاقم الطائرة قد تم شل قدرته فوريا وفى نفس الوقت باستعمال مادة كيماوية مثل غاز الاعصاب سريع المفعول.

كان من المفروض أن يكون التشريح هو الفيصل فى تلك المسأله لولا تدخل الوقى الخفيه, وكان التشريح قد بدأ فعلا فى مستشفى بهاول بور العسكرية بجثه العميد الامريكى "واسوم" وهو لم يكن فى كابينه القيادة (حيث كان اطلاق الغاز). ولا فى كابينه كبار الزوار التالية لها. لذا لم يسفر تشريح جثته عن شئ, وبسرعه وصلت أوامر بوقف عمليه التشريح لباقى الجثث, وقال الكاتب أن ذلك القرار كان صدمه لأن التشريح فى تلك الحالات يعتبر أمرا عاديا.
والحجج التى سيقف لتبرير ذلك كانت واهية تماما , وهناك قرائن على أن جثث الطاقم وكبار الركاب كانت فى حاله تسمح بالشريح, ولكنهم لم يسمحوا لعائله اختر عبدالرحمن برؤية جثته بدعوة أنها محطمة تماما , ولم يتبقى منها شئ.
وقد أعلن مسئول أمريكى أن الجثث لم تكن متاحة للتشريح لأن العادات الاسلامية تقتضى الدفن, خلال 24 ساعة, ومع أن ذلك صحيح فى الظروف العادية, فإنه لايحدث أبدا فى القوات المسحلة, كما يدل على ذلك استعداد الاطباء وموظفى المستشفى العسكرى فى "بهاول بور" لإجراء التشريح.
وقد أورد الكاتب ملاحظة غريبه, وهى أن التحقيقات كانت فنيه ومركزة على الطائرة نفسها والاسباب التى أدت لسقوطها.
ولكن لم يكن لدى اللجنه أعضاء لإجراء تحقيقات جنائية!!.
أى لم يكن هناك إهتمام بالبحث عن الجناة بقدر ما كان تبرئه الصناعة الامريكية من تهمه الاهمال, والحفاظ على سمعتها التسويقيه.
ومن أكبر المفارقات فى مجال التحقيق الجنائ -- الذى لم يكن موجودا سوى بشكل رمزى جدا رغم فداحة الحادثه وأهمية المفقودين فيها.
يقول الكاتب: ولكنهم سجلوا أنه بالرغم من أنه قد سلمت 31 شهادة وفاة إلا أنه لم يحدث إحصاء فعلى لعدد الجثث فى موقع الحادث أو فى المستشفى, ولذلك فإن احتمال أن يكون أحد الركاب لم يركب الطائرة أصلا فى "بهاول بور" هو أم لايمكن استبعاده بشكل كامل.
إن هذا العمل غير مقبول فى أقل الحوادث شأنا... لقد أصدروا شهادات وفاة لجميع الركاب من واقع قوائم المسافرين فى المطار لامن واقع عدد الجثث الموجوده فعلا فى موقع الحادث والتى لايعرف أحد الى اليوم كم كان عددها الحقيقى...!!
والغاز المستخدم يقول الكاتب: ومن المؤكد أن استعمال حادث طائرة كوسيله للقتل ثم اختياره لأن إحتمال الحصول على أدله تدين القتله ضئيل جدا , حتى وإن توصلت السلطات إلى أنه عمل تخريبى, واستعمال غاز أعصاب متطورة جدا وقادرة على قتل أربعة من طائم الطائرة فى وقت واحد يدل على تورط هئية استخبارات واحدة على الاقل, والمشكلة تكون فى مصدر الغاز فهو ليس متوفرا فى باكستان فى أغلب الظن.
ولكن KGB , CIAقطعا تستطيعان الحصول عليه.وكلا من الخاد وجناح الاستخبابات الهندية الخاص بباكستان كان يمكنهما الحصول عليه عبر إتصالهم بالسوفييت, وإن كان المتآمرون فى القوات المسلحة الباكستانية فمن المعقول أن تكون CIA قد زودتهم بالغاز.
ثم يورد الكاتب شكوكا قويا فى تويط عسكريين فى الجيش الباكستانى فى مؤامة اغتيال الرئيس حيث يقول: وأيضا فإن احتمال تورط القوات المسلحة الباكستانية عال جدا , وبالتأكيد على مستوى صغار الضباط, وربما على مستوى كبار الضباط أيضا.
فلم تكن KGB ولا الخاد والا الاستخبارات الهنديّة تستطيع أن تمنع تشريح الجثث فى المستشفى العسكرى, وكان الحصول على مواعيد طيران الرئيس يعتب أمرا سهلا بالنسبه لشخص عسكرى, كما هو الحال النسبه لتفادى الاجراءات الامنية فى المطار, ولادخال الفعلى للغاز الى الطائرة...

... ومن المعقول جدا أن أحد أقنع اللواء دورانى قائد فرقه المدفعيه أن حضور ضياء الحق سيزيد من أهمية الحدث, كما أنه من مصلحة دورانى, ومن الجائز أن نجاحه فى إقناع ضياء الحق بالذهاب تم بحسن نيه.
ويشير العميد يوسف أن الخطة نجحت بلا أخطاء لولا أن السفير الامريكى والملحق العسكرى الامريكى قد قتلا من الحادث, فلم يكن من المتوقع أن يدعوهما ضياء الحق الى مصاحبته قبل الرحلة بدقائق ... ولاشك أن المتأمرين قد روعهم قتل الامريكيين ولابد أنهم توقعوا تحقيقا شاملا ودقيقا مما سيكشف هوياتهم ولكن ذلك لم يحدث فكان الطور الاخير من هذا العمل الارهابى الخالى من الرحمة هو التغطية الامريكية.
وهنا أخلف العميد يوسف لأن ضياء الحق كان يتحرك وسط دروع بشرية من جنرالات جيشه, وأيضا من أعضاء السفارة الأمريكية وخاصه السفير... ثم أنه أحضر السفير الامريكى والملحق العسكرى معه فى الطائرة, وكان منطقيا أن يعود بهم فى نفس الطائرة, فلم يكن معهما طائرة خاصة, ولم يكن من اللياقه, أو من الاحساس الامنى السليم, أن يحضروهما معه ثم يتركهما فى مطار "بهاول بور" وهو مطار شبه عسكرى.
أذن فالامريكان قرروا التضحية برجالهم فى سبيل الفوز برأس ضياء الحق الذى أمعنى فى تشديد الحراسات حول نفسه وفى إتخاذ تدابير أمنيه غير عاديه... والعميد يقول فى هذا الفصل عن ذلك الامر ولابد أن المتآمرين كانوا قد بدأوا يشعرون باليأس مع مضى الاسبوع تلو الاسبوع دون أن يبدى ضياء الحق أى رغبه فى استعمال طائرته, ولم يكن من المحتمل أن يثير عرض الدبابات اهتمامه بدون جهد كبير لإقناعه.
وأغلب الظن أن مناسبه عرض الدبابات إستعملت كملجأ أخير, وكانت المشكله هى أن يتم إقناعه بدون إثارة بشكوكه.
فمن الواضح أن الأمريكان إقتنعوا فرصة قد لاتتكرر, وليكن الثمن ما يكون, حتى لو كانت حياة سفير وملحق عسكرى.
وقد ألقى عليهم ذلك عبئا مضاعفا فى التستم على الجريمه وإضاعه إى أثر وإلغاء أى إجراء قد يؤدى إلى كشف أى خيط يقود الى المجرم الحقيقي... أى يقود إليهم.
ليس خوفا من الشعب الباكستانى -- حاشا - ولكن خوفا من الرأى العام الامريكى وصندوق الانتخابات.
فالشعب الامريكى لن يتهاون بشأن تضحيه "جسيمه" بهذا الشكل بأن يقتل سفير وملحق عسكرى... وعلى أيدى من "... على أيدى الاستخبارات الامريكية نفسها, لقد كان منطقيا عندئذ أن تفرض مزيد من القيود على أيدى CIA, وأن يخسر الحزن الحاكم فرصة الانتخابية, فى المجالس النيابيه أو انتخابات الرئاسية التى كانت على الابواب والتى حملت الى العالم والى المسلمين وبلاد الخليج العربية خاصة, ذلك النزعيه الكبير والصديق العظيم للشعب الكويتى والشعوب العربية, " ور بوش" بطل تحرير الكويت, وبطل تدمير العراق, وبطل إحتلال جزيرة العرب, وشفط النفط العربى مجانا!!
(كانت التغطيه على تلك الجريمة مسأله على قدر عال من الحساسية وكان يلزم أن يكون على رأس السلطة فى باكستان أصدقاء لامريكا يمكنها الاعتماد عليهم. الرئيس المؤقت غلام اسحق خان وكان رئيسا لمجلس الشيوخ كان صديقا تاريخيا للولايات المتحدة, وبعد الانتخابات العامة فازت "بى نظير بوتو" وهو ليست فقط صديقه لأمريكا والغرب ومن الد أعداء الاسلام فى شبه القارة الهندية, بل أيضا من أول المستفيدين والراغبين فى قتل ضياء الحق, ويقول العميد يوسف وبذلك اتضح ان انتخابات نوفمبر سوف تعقد فى موعدها.
ومن شبه المؤكد أنه لن يكشف النقاب عن السلطة العسكرية التى منعت التشريحات كما أن تفاصيل التواطؤ الذى لابد أن يكون قد تم بين السلطات الباكستانية والسفارة الامريكية فى إسلام آباد لن تعرف, ومضت عدة أشهر قبل أن يجبر الضغط من مجلس النواب الامريكى وزارة الخارجية على السماح لثلاث محققين من مكتب التحقيقات الفيدرالى بالذهاب الى باكستان.
وكما قال عضو مجلس الشيوخ باسيل ماكولام: فى هذا الوقت المتأخر هل يستطيع مكتب التحقيقات التوصل الى ماحدث فى باكستان؟
لاأدرى ولكن نحن ننوى أن نكشف ماحدث فى وزارة الخارجية.
وبدأ فريق المحققين كان ينقصه الحماس للقيام بمهمته, فقد عرف أنهم لم يسألوا أحدا أسئله محرجة, وأنهم أبدوا عدم ميلهم للتحقيق فى أولة تناقض القول بأن الجثث كانت محترقه بدرجة تمنع التشريح.
وبما أن جدول أعمالهم كان معدا من قبل حكومة بى نظير بوتو" فقد كانوا مهتمين بالسياحة اكثر من مساءله الشهود, وطبقا لمصدر من جريدة واشنطن بوست فإنهم لم يتركوا اسلام آباد إلا فى رحلات سياحيه.

وكان سلوكهم يظهر جليا أنهم كانوا يتبعون تعليمات بعدم التنقيب فى الموضوع.

تشابكات تاريخية

تتشابك احداث التاريخ مثل حلقات يرتبط بعضها ببعض, ماحدث العام الحالى -- قد نبتت /فى معظمها/ داخل أحشاء عام مضى, واحداث قادمة تبدأ فى التشكيل تحت أعيننا فى عامنا الحالى, ويتفاوت الناس فى مقدرتهم على استقراء المستقبل, بناء على لهم سلسله الماضى والحاضر مع البذور الدقيقه التى يتشكل منها المستقبل تحت أنف الحاضر وهو الأمر الذى تتفاوت فيه القدرات الذهنية من حيث الادراك والتفسير ومن ثم الاستنتاج.

فى عام الكوارث العظيم -- عام 1988 -- كانت تتشكل بدايات لأحداث قادمة لاتقل خطورة أو مأساوية.

البعض من ذلك كان متعمدا . أو فلنقل أن الاطار العام للكوارث التى حلت بنا فى أفغانستان كان قد تحدد بفعل اتفاق القوى العظمى (امريكا والسوفييت), وخلف كل منها منظومة العملاء الخاصه به, بينما كان الجهاد تتزوى قواه البشرية بالقتل, وقواه المعنوية بالانحراف والضغط الواقع على عناصره, وقواه المالية بالحصار.

كان الاطار العام للكوارث هو تلك القاعدة الكافرة التى وضعتها القوى العظمى ويمكن تلخيص ذلك الاطار بقانون "لا حكم للاسلام فى أفغانستان."

وداخل ذلك الاطار العام وقد كان معروف لكثير جدا من الناس جاءت التفاصيل فى داخله... وبعضها كان من الممكن رصده وبعضها كان متعذرا على الكثيرين, والآخر كان من الدقه بحيث لم يكد يلاحظة أحد.

(كان من الملاحظ أن الدعم العسكرى والسياسى للمجاهدين قد بدأ يتهاوى بصورة غير منطقيه منذ توقيع اتفاق نيف فى ابريل والذى سبقه تدمير مخازن أوجرى للأسلحة, ثم تلاه بأشهر قليله قتل ضياء الحق.

كانت إذن مطلوب إرغام المجاهدين على قبول "المشيئه" الدولية بألايحكم الاسلام أفغانستان. وأقصى الممكن هو تواجد وجوه إسلامية فى حكومة علمانية تضم تيارات متباينه.

فى المقابل تزايدت الإمدادات العسكرية السوفيتية لنظام كابل كما ونوعا , من صواريخ سكود, الى طائرات ميج 27, إلى الغازات السامة التى بدأت تستخدم بشكل واضح وسط تجاهل دولى تام.

وقتها كنت اتوقع نوعا من التجميد يؤدى الى شيوع حالة اليأس فتتحلل المقاومة, وتبقى فى كابل حكومة شيوعيه منقحة بتيارات مختلفه إسلاميه وعلمانية, ولم يكن عندى شك فى تواطؤ أحزاب بشاور فى ذلك البرنامج.

ولم اتوقع هذا العام أن تحدث هزيمة عسكرية كبيرة للمجاهدين تؤدى الى سرعة انجاز ذلك الحل, ولكن كارثه جلال آباد كانت بوادرها تلوح... إنما كانتصار كبير محتمل... وبرزت الى جانبها أيضا مدينه قندهار كمشروع إنتصار مخالف تماما وتم إحباطه -- لأنه كان من صنع محلى بحت على أيدى المجاهدين الميدانيين - - فتم قمعه بعنف ... ليس فقط من حكومة كابل بل من احزاب بشاو وعلى رأسهم حزب حكمتيار التى وصف احتمال سقوط قندهار, بأنه "مؤامرة" تهدف الى اعادة الملك ظاهر شاه الى الحكم, وكان كاذبا كالعاده.

كانت السحب تتجمع بالتدريج فوق سماء جالا آباد خلال عام 1988, ولم تلبث تلك القطع المتناثرة أن التحمت فى سحابه سوداء ضخمة أرسلت صواعقها لتحرق الحدرث والنسل فى أسوأ كارثه للمجاهدين -- العرب تحديدا -- والافغان عامة -- طوال سنوات الأزمه.

(بعد اغتيال ضياء الحق بدأ دور سياسى جديد لاحزاب بشاور فقد تحركوا الى المساحة المخصصه لهم فى حيز الحل الدولى وبدأوا مفاوضات مع السوفييت, لكن قله نادة التى تخيلت أن يصل دور هؤلاء القادة الى الفعل النشط ضد وصول الاسلام إلى الحكم أو انتصار المسلمين بشكل واضح فى ميدان المعركة -- فتورطوا من عام 1988, ونصفه الثانى على وجه التخصيص وحتى دخولهم الى كابل فى سلسله تآمر على وطنهم -- ولا نقول دينهم -- وبشكل وثيق مع القوى الامريكية أساسا ثم السوفيتيه عند بعضهم. لقد كان سعيهم محموما نحو السلطة ... فى أى موضع منها... وبأى شكل من الاشكال.

(كثيرون لم يجيدوا قراءة -- أحمد شاه مسعود -- أو أسد بانشير كما أطلقوا عليه فى الغرب. وكنت واحدا من هؤلاء. وقد صدرت فى ذلك العام 1988, إشارات تفيد بأن مسعود هو الوحيد من بين قادة الداخل الأقوياء الذى عرف طبيعه دورة القادم وبوضوح.

لقد ساعده وضوح الرؤية -- إلى جانب مؤهلاته الأخرى -- لأن يكون هو أقوى رجل فى أفغانستان خاصه فى الفترة ما بين فتح كابل فى أبريل 92 وحتى وقوع كابل فى قبضة "طالبان" فى أكتوبر 96, وفى ظنى أن مسعود هو اكثر رجال أفغانستان كفاءة وإن كان من اقلهم إلتزاما بالقيم من أى نوع.

(منذ بدايات الانسحاب السوفيتى فى 15 مايو 1988 بدأت عمليه انسحاب واسع للجيش الافغانى, لم يلاحظ الكثيرون ابعاد تلك العملية العسكرية السياسية التى لاتخلو من روعة حرفيه, رغم أن الحظ لم يحالفها بشكل كامل.

فكادت أن تؤدى فى مرات عديده الى انهيارات عسكرية وسياسية للنظام الحاكم كان يمكن أن تودى به, لولا أن الطرف الآخر -- المجاهدون -- كانوا غير مهيئين لانتهاز الفرص, فقد كادت تسقط قندهار ثم خوست, وتقدم المجاهدين الى اكثر من منصف الطريق الى جلال آباد. ولكن فشلت كل تلك المحاولات, فقط هى جلال آباد التى تطورت العمليات فيها الى درجة ... الكارثه!!

(لملم عام 1988 أيامه الاخيرة, والسوفييت فى انقاض زلزال غير عادى ضرب أراضيهم فى أرمينيا, واختلط الحزن مع العجز مترافقا مع ظلال الهزيمه التى تأبى إلا أن تظهر رغم الديكورات الدوليه على ماحدث فى أفغانستان, بينها واشنطن تحتفل بصورة مبالغ فيها بتولى رئيسها الجديد -- جورج بوش -- كانت صورة متناقضه, لكنها غنيه بدلالات لما سيكون عليه مستقبل العالم, وأن الزعامة لم تعد بأى حال ثنائيه, وأن الوضع الموروث عن الحرب العالمية الثانيه قد زال فعلا.

-فلننظر باختصار شديد نقاط التشابك بين أحداث عام 1988 مع الاعوام التى اعقبته, مكتفين بأهم النقاط.

"الانسحاب بالدفع الأمامى" واحد من المصطلحات الطريفه للدبلوماسيه الامريكية المغرمة دوما بالتسميات الغربية ذات الطابع الدعائى.

فهناك سيارات "بالدفع الامامى -- وأخرى "بالدفع الخلفى". وهناك دفع "بالعجلات الاربع". لقد اصر الامريكان ورضخ السوفييت على أن تكون الدفعة الأولى للإنسحاب السوفيتى هو اكبر الدفعات. وأن تنسحب نصف القوات السوفيتية قبل حلول شهر أغسطس, وكانت اتفاقيه نيف قد وقعت فى 14 ابريل.

فكان الرئيسان الأمريكى والسوفيتى سوف يلتقيان فى موسكو بتاريخ 29 مايو لذلك روعى أن يتسحب من 20 الى 30 ألف جندى سوفيتى من أفغانستان قبل ذلك التاريخ "لترطيب" اجواء اللقاء.

ومن جهتى لا أشك أن الرجلان قد ناقشا فى ذلك اللقاء عمليه اغتيال ضياء الحق -- والعبء الاكبر فيه يقع على الامريكان لكونه واقع فى أراضيهم -- وكان ضياء الحق هما سوفيتيا فى الاساس ومن قبل أن يتحول الى أمريكى, ولكون أمريكا فى المقابل تريد التأكد من أن السوفييت لن يغدروا بالاتفاق الافغانى فلاشك أنهم ان ينسحب نصف الجيش السوفيتى من أفغانستان قبل أن يعرفوا هم بالتزامهم بقتل ضياء الحق.

كل ذلك طبيعى بمنطقه السياسى الدوليه, ولكن جلال آباد كانت أول مدينه أفغانيه يخليها السوفييت رغم أنها سياسيا وعسكريا هى المدينه رقم 2 فى البلاد, أليس من المنطقى ألا تبدأ المجازفه بها ؟

وأن يتأخر الانسحاب منها بعض الشيئ, فهل كان هناك تصور مبدأى للكارثه التى سوف تحيق بالمجاهدين هناك. أو بمعنى آخر هل كانت فخا متعمدا من القوتين العظمتين؟

هذا شيء لم يذكر فيه أحد وقتها. على الرغم مما قاله أحدهم وهو محل غربى الذى تكلم عن احتمال مطروح للبحث بأن تنسحب القوات السوفيتية والجيش الأفغانى من عن مدينه جلال آباد تاركين الفرصه للمنظمات "الجهاديه" السبعه كى تثبت فشلها على أرض الواقع فسوف ينشب القتال فيما بينها فنقيم بذلك دليلا أمام شعبها والعالم بأن تلك المنظمات عاجزة عن إدارة مدينه واحده, فالحل الدولى هو بالتالى الاقدر على تسيير البلاد, أي حكومة شيوعيه إسلاميه, يكون الاسلاميون فيها ضيوف شرف أو مجرد ديكور.

إن ذلك لم يحدث ولكنه يثبت أن هناك تفكير فى عمليه أجهاض للجهاد الأفغانى, عمليه مكانها تحديدا هو جلال آباد.

لم نتخيل شيء مثل ذلك وقتها, ولكن تلك المدينه ظلت باقى عامها ذلك موضع إهتمام الاعلام الغربى, رغم أن ماكان يحدث فى قندهار وقتها كثر أهمية وخطورة "". ونعلم أن الاعلام الغربى وأضواءه كان يتم توجيهها من السفارة الأمريكية فى إسلام آباد, فهل كانت تلك السفارة تعلم شيئا خاصا عن جلال آباد". هذا أيضا مجرد إحتمال, لكن الذى لاشك فيه أن أول ظهور لاستخدام فعلى لصواريخ سكود الجديدة كان منطقه جلال آباد.

فقد نقلت انباء الرابع من نوفمبر أن مابين ست الى ثمان من تلك الصواريخ قد تساقط على مواقع المجاهدين فى محافظه ننجرهار أى مواقع المجاهدين على حواف النطاقات الدفاعيه حول جلال آباد عاصمه تلك المحافظه. وكان المجاهدون قد نشطوا كثيرا خلال الفترة الاخيرة فى تهديد تلك النطاقات والاستيلاء على مواقع مهمه فيها

"تورخم" النقطه الحدودية مع باكستان, على رأس الطريق الدولى الاهم بالنسبه لكابل مع العالم الخارجى غير السوفيتى.
استمر هطول صواريخ سكود على مواقع المجاهدين خاصه ول المدن الهامه المهددة, وقال الجنرال سليمان قائد سلاح المدفعيه فى جيش كابل فى تصريح لجريده "النجم الاحمر" الناطقه باسم الجيش السوفيتى أنه تم اطلاق نحو ثلاثين صاروخ سكود على مواقع المقاومه فى الجبال وعلى الحدود الغفانيه الباكستانيه حتى يتوقف القصف على كابل.
وكان قصف المجاهدين لمطار كابل بالصواريخ من طراز "صقر" قد أدى الى مصرع عشرة طيارين وجرح عشرين آخرين. (وكالات الانباء 11/18).
وقد قتلت صوايخ صقر بعض الافراد فى جلال آباد وجرديز, وردت حكومه أفغانستان, بقصف قرى باكستانية حدوديه بصوايخ سكود.
وقد اندفعت طائراتها لإختراق الحدود وقص قرى باكستانيه لكن أثنتان منها اسقطتها وتم أسر أحد الطيارين. (وكالات الانباء 11/4).
مركز أعلامى فى بشاور ذكر أن الغارات السامه قد استخدمت ضد مواقع المجاهدين فى ننجرهار (حول جلال آباد) بواسطة قنابل الطائرات وصواريخ سكود (الوكالات 11/22)
لكن أحدا لم يهتم لأن الاعلام الدولى لم يؤكد النبأ, الذى كان صحيحا هذه المرة.
ولذلك سجلت ساحة جلال آباد استخداما روتينيا لصواريخ سكود وللغازات السامه, وهذا مايثير الشكوك أنه كان يجرى تجهيزها بهدؤ كمقبرة جماعية للمجاهدين -- وهو ما حدث فى عام التالى 1989.
وقبل أن تغرب شمس 1988 كان المجاهدون قد استولو على أكثر من 40 كيلومتر من النقطه الحدودية فى تورخم فى اتجاه جلال آباد.
وقد وقفوا على بعد حوالى 15 كم من منطقه "سمر خيل" الاستراتيجيه وكان بها حاميه قوية وتبدأ بمدخل يمكن أغلاقه باحكام.
فإلى اليسار هناك جبل "سمر خيل" مرتفع وقاس التضاريس ويعتبر مفتاح جلال آباد من طرفها الجنوبى, ثم هناك فى مقابله على الجانب الآخر من الطريق مجموعه هضاب قليله الارتفاع ذات أرض غير صلبه وعليها تكزت نقاط دفاعيه إضافيه الى النقاط المنتشره على الطريق, أما جبل سمرخيل نفسه فلم تكن عليه نفطه دفاعيه واحده رغم شهرة الجيش الافغانى بأنه لايترك صخرة, إلا وأنشأ عليها بواسطة -- أى موقع دفاعى -- فما بلك بذلك الجبل الذى لاتخطئ عين خبيرة أو غير خبيرة بأن منطقة حاكمه على كل من حولها, فهل يعقل أن يكون ذلك مجرد خطأ, إن قمه جبل سمر خيل يمكنها التحكم فى حوالى نصف المسافة على الطريق المؤدى الى باكستان المتلوى فى وادى مبسطة تحت أقدامها.
أما فى اتجاه جلال آباد فليس هناك هيئة جبليه أخرى تتحكم فى الطريق الواصل الى المطار (15 كم تقريبا), ثم الى مركز المدينه (30 كم تقريبا), ليس سوى المزارع والانهار والقى... لكن لاجبال على الطريق.
أن تحكم جبل سمر خيل فى مدخل جلال آباد الجنوبى حقيقه لاتخطئها إلا عين لاترى الشمس, اذن لماذا لم يركز الجيش الأفغانى - السوفييت. مازالوا متواجدين فى البلاد رغم الانسحاب المستمر, لماذا لم يركزوا دفاعاتهم على جبل سمر خيل نفسها لفتره بسيطه قبل أن يطردهم هجوم حكومى مضاد, إذن خطوه الموقف ظاهرة للعيان واستمرت متفاقمة لعدة أشهر (حتى مارس 89). هل أن ذلك كله كان مجرد خطأ"... القول بذلك مجازفه كبيره... اذن لايبقى إلا القول بأن الجيش الأفغانى (نيابه على السوفييت وحلفائهم الامريكان) كان فى نيته استدراج المجاهدين الأفغان الى مايسمى «ساحة قتل» وهى ساحة تركيز ساحق للنيران على الخصم فى وضع لايسمح له بالاختباء أو الدفاع الجيد, الساحة حدها الاسفل يبدأ من جبل سمر خيل وحدها الاعلى هى طرق الدفاعى الاولى لمدينه جلال آباد. وحدها الايمن (بالنسبه للمجاهدين) نهر كابل وحدها الايسر يقع الى بعد من عشرين الى 30كيلومتر بعيد عن النهر فى أرض منبسطه قليله الزراعه وشبه صحراويه.
مازال ذلك إقتاضا تبرهن عمليه قرينه قويه, ولكن المؤكد أن جبل سمر خيل كان محور معارك جلال آباد القادم.
)))

قندهار المدينه المغدورة

لقد ظلمت منظمات بشاور هذه المدينه الباسله, وخذلتهم فى أحرج الاوقات... وكل ذنبها المعلن أنها مدينه ظاهر شاه آخر الملوك والعدو اللدود لحكومه باكستان.
لأهالى قندهار تركيبتهم الخاصه مزاجهم الفريد, فكان لهم بالتالى أسلوبهم القتالى الفريد, كان فيهم الكبرياء القريب من الغرور.
وشعو بالتالى يقود بطبيعته الى احتقار الآخرين, وفيهم قدرة فى السير الى نهاية الشوط فيما اختاوا من أمور.
فالصالحون منهم هم من الأولياء, والطالحون هم أخوة ربما اساتذة لأبليس اللعين, أما المقاتل فهو إما أن يهاجم لايرده إلا الموت أو يف لايرده إلا الموت أيضا.
استولى هؤلاء الشجعان على زمام مدنتهم مرتين على الأقل خلال فترة الجهاد... وكانت على وشك العودة على ايديهم مرة أخرى بينما الانسحاب السوفيتى فى ثلثه الأخير, حتى "المصادر الغربيه" إياها حذرت من احتمال سقوط قندهار فى أيدى مجاهديها وقالت بأن ذلك سوف يشكل "ضربه خطيرة لحكومه كابل."
ليس سرا أن أهالى قندهار قد بادلوا منظمات بشاور نفس المشاعر من انعدام الثقه, والكراهيه الكتومه, وقد لامست ذلك بنفسى عندما زرت معسكرات المهاجرين فى كويتا ولمده يومين فى خريف هذا العام 1988, ومعظمهم كانوا من قندهار.
وقالوا لى بصراحة... لانحب منظمات بشاور ولانريدها... نريد الملك ظاهر شاه ثم عقدوا مقارنه طويله بين المناطق المحررة والاحوال فيها... وكانت نتيجتهم منطقيه وكانت واضحة لاتقبل اللبس... لانزيد زعماء بشاور.
الذى لايعلمه كثيرون هو أن مجاهدى قندهار قليلا ماتركوا مدينتهم وظلوا حتى النهايه يمتلكون قطاعات معينه منها, فكانوا مثلا يحتلون جانبا من شارعها الرئيسى يتترسون فى مبانيه الطينية القديمه, بينما تترس جنود الحكومه فى مبانى الجانب الآخر, ويتبادل الطرفان طلقات الأسلحة الثقيله وقذائف "الآر بى جى" أو مدافع عديمة الارتداد.
عيب أساسى فى منطقتهم هو فقرها الشديد فى الجبل, والقليل الموجود منها قليل العمق قائم بذاته, فيسهل تطويقه وعزله.

والمناطق المنبسطة تربطها حتى هيرات, وإلى غزنى ثم كابل بلا عوائق جبليه خطيرة لذا فإن الحفاظ الحفاظ على مدينه كهذه هو بلاشك مهمه عسيره إذا كان العدو هو الجيش السوفيتى.
أما وقد رحل معظم السوفييت, فكان من الأصوب هو الاستيلاء على قندهار, حتى لو ألغى السوفييت انسحابهم ذلك أصلح للمجاهدين من اتمام الانسحاب تحت هذه الشوط التى تكفل إنسحابا آمنا للسوفييت.
مع تسعير الحرب وتصعيدها فى أفغانستان.
أى باختصار تسوية تصوف دماء السوفييت فقط, وتريق المزيد من دماء الافغان, فإذا كانت "المشيئة الدولية" أن تستمر الحرب فى أفغانستان, فمن الأفضل أن يحترق السوفييت معنا.
المهم أن قندهار تنحت بشده فى شهر أكتوبر... وتفضت الحامية العسكرية, وحدث مايشبه مشروع صدام داخلى -- أو انقلاب كما وصفته الانباء الحكوميه واحزاب بشاور -- وكان الدور الاكبر للزعيم حمتيار الذى حرك رجاله ففتحوا الطريق أمام النجدات العسكرية المتوجهه من هيرات صوب قندهار, وكانت قد دمرت فى الطريق عدة مرات, حتى جاءت النجده من الزعيم الأصولى الذى ادعى انه انقذ البلاد من مؤامرة لاعادة ظاهر شاه.
وقطعا لم يكن الامر كذلك, بل كانت طعنه من الخلف قادمة من بشاور الى قلوب مجاهدى قندهار. ؛وقد دار الزمان دورته أعاد مجاهدو قندهار الصاع صواع عديدة لأحزاب بشاور, على أيدى حركة طالبان التى إنطلقت من قندهار مثل الاعصار صوب كابل والعواصم الاقليمية الاخرى وكانت تلك الحركة فى جوهرها ثورة شعبية ضد إنحراف المنظمات والفساد الذى دمرت به الحياه العامة فى البلاد خاصة بعد وصولها الى الحكم فى كابل.»

)))
كان نجيب الله يتمتع بما هو اكثر من مزايا زعيم عادى فى العالم العربى, فقد كان قاس القلب دمويا , مهوسا بالسلطة, يعلم أن لابقاء له على كرسى السلطه سوى بالاعتماد الكامل على ... دوله عظمى.
لكن سوء حظه جعله يراهن على الحصان السوفيتى الخاسر, لذا حاول تقديم أوراق اعتماده الى ثوة المستقبل المتفدة, لكن أمريكا لم تقبل اعتمادة لأسباب مجهوله, لأن أمثاله قد قبلوا فيما بعد, ورغم أنه اتخذ كل الاجراءات المناسبة, وربما يؤهله كعضو فى منظومه العالم الاسلامى... يكفى أن تأمر واشنطن الملك فهد أن يفتح أبواب الكعبه أمام نجيب كما فتحها قبلا أمام "بى نظير بوتو" وأشباهها.
فى خطوة جبارة "لأسلمة الدولة" التى كانت ماركسية, أقام نجيب الله مولدا فى كابل, حضره مملثون عن 25 دولة من بينها الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى, وفى "خطابته التاريخى" الذى ألقاه فى المولد اتخذه خطوة ضخمة أخرى لاتقل خطورة بأن انشأ وزارة "الشؤون الاسلامية والاوقاف" اسوة بأخوانه فى الدول العربية, وبذلك ارتقى فى مدارج الاسلام حتى شارف "التطرف الدينى" وأعلن بشجاعة نادره أن أفغانستان دولة إسلامية !!.
وأمام المؤتمرين أعلن استعداد لعقد مفاوضات مباشة لإيقاف القتال فى أفغانستان, وأن مكان التفاوضات مباشة لإيقاف القتال فى أفغانستان, وأن مكان التفاوض ممكن أن يكون مكه -- لو وافقت الحكومه السعودية على ذلك. (الوكالات 10/23.(
لقد أخطأ حين ظن أن مفاتيح مكه هى فى أيدى حكام السعودية, الذين فتحوا الابواب بعد قليل ليس أمام التلميذ النجيب, ولكن لسادة الكرملين كى يعقدوا ما أطلقوا عليه اسم مفاوضات بين السوفييت ومنظمات بشاور.
عقدت المفاوضات فى الطائف, بعد سبقه لقاء مباشر فى إسلام آباد بين مندبين بين الجانبين أحزاب بشاور -- التى يرأسها الآن برهان الدين ربانى -- وبين مندوبين من السفارة السوفيتية فى 27 نوفمبر.
ونشير هنا الى ان حكومة أحمد شاه قد دبلت مثل الوردة على غصنها, وعادت المنظمات السبعة الى نظامها المفضل فى تناوب رئاسه (الاتحاد) مرة كل ثلاثة أشهر لكل منهم.
كان الهدف من إقحام السعودية فى ذلك الحدث الجديد هو إعطاؤه صبغة أو ختم ؛ معتمد إسلاميا [a], فقد كان هناك حرج لدى الزعماء الافغان فى مواجهه شعبهم والشعوب الإسلامية فى جلوسهم الى طاولة واحدة للمفاوضات خاصة وأن هناك موضوعا واحدا فقط هو المطروح امامهم وهو:
"انتم مسئولون عن اعادة الاسرى السوفييت فى أفغانستان والويل لكم إن تفعلوا !! فلا مكان لكم على طاوله الغنائم السياسية فلستم أهلا للثقه."
لكن هؤلاء التعساء أضافوا الى ذلك الطلب - بعد أن صاغوه بلهجه دبلوماسية خادعة -- أضافوا بنودا وهمية لم يجرى بحثها -- على الاقل معهم -- فدورهم السياسى أدنى من ذلك بكثير.فقال حكمتيار مثلا أنهم سوف

يستخدمون الاسرى السوفييت كورقه ضغط لإرغام السوفييت على وضع تعويضات حرب (الوكالات 19/6/88.)

ثم أدعى زعماء بشاو أنهم يسعون إلى أن تشمل المفاوضات الى جانب موضرع الاسرى -- الذين قالوا أنهم يرفضون أن تقتصر المفاوضات عليه -- حتى تشمل مواصله انسحاب القوات السوفيتيه (!!) ومستقبل حكومة كابول, والعلاقات المستقبليه بين أفغانستان والاتحاد السوفيتى -- لقد استؤنفت تلك المفاوضات فى باكستان فى بدايات العام التالى وأسفرت عن نتيجة عمليه واحدة فقط... وهى تسليم الاسرى السوفييت الى بلادهم بدون قيد أو شرط... لاتعويضات حرب, ولاخرائط ألغام, ولامساهمة فى برنامج الامم المتحدة لاعادة إعمار افغانستان... وهى سلسله من الوعود الوهمية التى لوح بها السوفييت, ماعدا التعويضات الذى لم يأتى ذكره قط على ألسنتهم, ولكن بعض زعمات الافغان لوحت به لفترة وجيزة حتى أتتهم أوامر "دوليه" باغلاق فمهم... ففعلوا.

وبينما ربانى يقود السفينه الأفغانيه كى يسلم مابها من أسرى سوفييت مجانا , كما سيفعل بعد ذلك عدة مرات فى موضوعات أخرى.

فإذا بإعلام الأخوان المسلمين فى بشاور, وقد أرسل مددا من الاقلام الخبيرة كى يساند التيار الأخوانى القائد فى أفغانستان, ويؤدى دورة التاريخى فى أكبر قضيه دوليه بعد الحرب العالمية الثانية.

فى مطبوعة جديده وجاده أسموها التقرير الاسبوعى -- الصادر عن دار الجهاد فى بشاو فى 18/11/82 وتحت عنوان: المفاوضات مرة أخرى... فنسجل الفقرة الأولى فهى تكفى, وتقول الفقرة:

؛المفاوضات المباشرة التى انعقدت يوم 11/27 بين المجاهدين والسوفييت تشكل نجاحا سياسيا للمجاهدين بكافة المقاييس حتى لو اقتصرت تلك المفاوضات على مناقشه موضوع الأسرى, فهى تعتبر خطوة تليها خطوات, وبدايه لم يسبق لها مثيل فى تاريخ الحروب بين دوله كبرى معتديه, ومقاومة وطنيه, ومن باب التذكير, وليس المقارنه فقد انعقدت مفاوضات طويله فى باريس بين وفد امريكى وآخر يمثل حكومه فيتنام الشماليه إبان التدخل الامريكى فى فيتنام ولم يشارك فيها ممثلون عن جبهة التحرير الوطنيه الشيوعية (الفيتكونج) وانتهت الى الانسحاب الامريكى النهائ من فيتنام.»

فقره صغيرة ولكنها فى حاجة الى تعليق طويل, ويكفى أن قادة الاخوان هم شريك كامل فى جريمة أفغانستان, فلا غرو أن مارسوا الكذب والتضليل لحساب صبيانهم هناك وحتى اللحظة الاخيرة.

وسيظل دور "الاخوان" قائما طالما هناك قوى دوليه تريد إخضاع المسلمين فى أى مكان. حقا ... لقد ضمنوا لأنفسهم مكانا تحت الشمس فى ظل النظام الدولى الجديد, كما كان الحال فى سلطة القديم... ولكن الى متى؟؟

)))

صناعة المستقبل

ربانى + مس-عود

كان "ربانى" نشيطا للغاية اثناء فترة رئاسته اتحاد منظمات بشاور فقد كشف اتصالاته مع مندوبى الأمم المتحدة, وقام بزيارة الى الولايات المتحدة كى يصافح فى زيارة واحدة اثنين من رؤساء البيت الابيض.

ريجان بعد أمضى رئاستين ازدهر اثنائهما "الجهاد الأفغانى" حتى بلغ ذورته ثم أخذ يهبط منها نحو الاسفل, وجورج بوش الزعيم القادم الذى سوف يجهز على أى مكسب اسلامى فى أفغانستان ولكنه مع ذلك تعهد لربانى "انه سينتهج تجاه المقاومة وتجاه الدفاع عن أفغانستان سياسه حرة مشابهة لتلك التى انتهجها سلفه"

(وكالات الانباء 12/11)
ثم خاض ربانى غمار أول مفاوضات مباشرة مع السوفييت, لالشئ إلا لتسليمهم غنيمه بارده, أسراهم فى أفغانستان أو آخر ورقه ضغط كان يمكن استخدامها ضدهم من أجل دفع تعويضات حرب.
من الآن فصاعدا سوف يثبت ربانى خلال نشاطه السياسى أنه الذى لا مثيل له فى تقديم التنازلات بلا مقابل, من أجل تثبيت مركزه الرئاسى فقط لاغير.
وبينما تولى ربانى مجال العمل السياسى الخارجى, أمسك صهره مسعود منذ البدايه توطير قوته فوق أرض شمال أفغانستان.
واذا كنا لم نكد نرى ذلك أو نفهمه فإن مجاله تايم الامريكية وضعت يدها على المناطق الحساسه. (أنظر جريده البيان -- دبى -- 12 اكتوبر.(
تقول المجله الامريكية: " يبدو أن نهايه الصراع قد اقتربت ولم يعد ينبغى على الثوار الافغان أن يعدلوا تكتيكاتهم العسكرية فحسب, إذا ما أرادوا الإطاحة بالحكومه العسكرية فى كابل, وانها أصبح ينبغى عليهم أيضا أن يجلسوا ليحددوا أيا من المجموعات الأفغانيه ستكون صاحبه الرأى الاساسى وتسيطر على الامور فى كابل, ويبدوا أن مسعود قد إتخذ قراره بهدا الصدر وصمم أن يكون الدور الرئيسى لحكومه مابعد الحرب بيد جمعيه اسلامى.»
وفى مقطع آخر اكثر أهميه تقول التايم " وكانت خفه حدة الهجمات على القوافل والقواعد السوفيتيه القريبه من بانشير فى المدى الاخير, وقد حملت بعض المراقبين على الاعتقاد بأن مسعود ربما يكون قد توصل الى اتفاق مع السوفييت يسمح للقوات السوفيتيه بالانسحاب دون أن تتعرض لأى أذى من جانب الثوار, إلا أن مسعود نفى هذه الاشاعات فيما أكثر أهمية وإلحاحا من تبديد بعض الطلقات على القوات السوفيتية المنسحبة ألا وهى الاستعداد لمعارك الربيع المقبل".
وبالفعل فلقد اثبتت احداث السنوات التاليه:
..أن ربانى وحزب "الجمعية الاسلامية" قد قرر أن تكون له اليد العليا فى أفغانستان, وأنه لابد أن يكون قد حصل على دعما خارجيا قويا من أجل ذلك, ومن المؤكد أن السوفييت منحوه ذلك الدعم, لأن ذلك كان واضحا حتى قبل فتح كابل (ابريل 92.(
بينما منحت باكستان -- منذ القدم -- تفويضا مطلقا لحكمتيار وحزب اسامى التابع له أن يكون فى المواقع الأولى فى السلطه أو يكون أول الزاحمين عليه.
والاغلب أن امريكا وافقت على تقسيمه بهذا الشكل على أن تكون محورا لحرب أهليه طويله المدى, وهو ماحدث بعد الفتح, ولمده أربع سنوات ونصف حين استولت حركة طالبان على كابل وهدمت المعادله القديمه للحرب الأهليه أى معادله الحزب والجمعية.
أو معادله (حكمتيار ضد ربانى ومسعود.(

--عام الانس-حابات الك-برى--

وأيضا كان عام 1988 هو عام الانسحابات الكبرى, فلقد سحب السوفييت جيشهم الأحمر, بينما الجيش الأفغانى لم يكن فى أفضل حالاته, وكان أشد ما يعانيه هو الهبوط المعنوى الخطير لجنوده, كما أن نسبه الظباط الجدد غير الحزبيين قد بدأ تتزايد, فضعفت كثيرا الشراسه القتاليه للضباط الشيوعيين الذين قاتلو بضراوه كثيرا الشراسه القتاليه للضباط الشيوعيين الذين قاتلوا بضراوه في سنوات الحرب الأولى فقتل اكثرهم, والقله الباقيه شغلت مناصب الجيش العليا والمتوسطه, فامتلأت الصفوف الأولى بضباط لايعلمون سوى لأداء الوظيفه وخوفا من بطش قيادتهم الأعلى, وهو أيضا خائف من الجنود الذين تحت إمرته ويتحينون الفرصه لقتله ثم يفرون الى المجاهدين وسرعان ما يصلون الى قراهم مرة أخرى.

والجندى الذى أجبروه على دخول الجيش وحمل السلاح -- ربما بدون تدريب يذكر -- يخاف من ضابطه المباشر فهو قد يقتله لأقل هفوه, وخائف من جنود الميليشيا الذين يقفون خلفه باستمرار لضربه فى الظهر اذا حاول الفرار, وهو خائف من مجرد السير حول موقعه خوفا من حقول الألغام الدائريه التى وضعت خصيصا لمنعه من الفرار.

كانت حاله الخوف الداخلى تدمر ترابط الجيش وتهلك قواه ناهيك عن مخاطر الحرب ذاتها.

ومع الانسحاب السوفيتى ظهر عنصرجديد زاد فى ضعف تماسك الجيش, ذلك العنصر هو إزدياد الشك فى امكانيه كسب الحرب وأنهم لن ينجحوا فيها فشل السوفييت فى تحقيقه.

وإذا ماخسروا الحرب فماذا سيكون مصيرهم? وإذا نجحت الاسلحة الجديده ومجهود حكومه كابل فهل التفاهم مع المجاهدين وتشكيل حكومه مشتركه جديده, فهل يلغى ذلك ملف الثارات القبليه وقد اكلت نيران الحرب اكثر من مليون ونصف مواطن على الاقل.?

إن الثأر لايموت فى أفغانستان, وحتى إن مات صاحبه فهناك من يرثه عنه ويؤديه.

حتى قيادات الجيش نفسها يأست من احراز نصر عسكرى, ويساورها شكوك عميقه فى مستقبلها الشخصى حتى فى ظل تسويه سياسيه مع المجاهدين.

فى ظل تلك الروح المعنوية الكئيبه جرى الانسحاب السوفيتى ورافقه انسحاب للجيش الحكومى, كان له أهدافا عسكرية وأخرى سياسيه.

عسكريا كان المطلوب من الجيش هو تحقيق نظريه الأمن الجديده للدوله والتى تهدف الى:

-1المحافظة على المدن الرئيسية وضع المجاهدين من الاستيلاء على أى منها.

-2تصفيه قوات المجاهدين على أبواب المدن وتكبيدهم اكبر قدر ممكن من الخسائر فى الارواح, بحيث يضطرون فى النهاية الى قبول التسويه السياسية, ومن موقف ضعيف أيضا.

-3استخدام الاسحلة الجديدة ؛ صواريخ سكود -- ميج 27 -- القنابل العنقوديه والغازات السامة« فى تحطيم القاعد الخلفيه للمجاهدين تجمعاتهم فى الأراضى المحررة, بهدف إضعاف قواتهم العسكرية من جهه, وطعنهم من تكون فى قواعد اداريه ومدنيه, ذات قيمه من جهه أخرى. ثم أخيرا تخويفهم من الابادة فى حال دخولهم أى مدينه بالقوة, وبذلك يتم ردعهم معنويا وماديا عن مجرد التفكير فى اقتحام اى من المدن الاسياسية.
تلك كانت نظريه "أمن الدوله الأفغانيه" بعد الانسحاب السوفيتى وكما أوضحتها الأحداث فى السنوات التاليه.
أما الجوانب السياسة التى راعى ذلك الانسحاب تنفيذها فكانت اكثر ذكاء وحنكة ومنها لخصوصية الواقع الافغانى.
وقد أحرزت قدرا معقولا من النجاح, وفى بعض الحالات كان النجاح كبيرا , ولولا حالة الجيش السيئة من الناحية المعنوية وفى الانضباط العسكرى أيضا , ولولا إهتزاز صورة الدولة والثقه فى قوتها واستمراريتها لنجح ذلك الإنسحاب فى تحقيق ماعجزت عنه الحملات الهجومية الكبرى.
كان من الواضح أن الهدف السياسى لذلك الانسحاب هو اعطاء المجاهدين "فرصة للفشل" والفشل هنا هو الفشل السياسى وعدم القدرة على ادارة شئون المناطق المحررة مع إعطاء المجال لظهور كل العيوب الكامنه داخل تكوين المنظمات المسلحة والتى غطت عليها موجة الجهاد والحماس فى القتال ضد السوفييت
فكان لايد من إعطائهم أرضا واعطائهم وقتا حتى يكشفوا سواءتهم ويهدموا بنيانهم بأنفسهم, وينفض الناس عنهم.
بالطبع لم تقف حكومه كابل مكتوفه اليدين فى انظار نتائج التجربه بل كانت دوما فى وضع فعال وموجه وصانع الاحداث.
وقبل إجراء الأنسحاب كانت تمهد له تمهيدا طويلا بين المجموعات المسلحة المحيطة بالمواقع التي تنوي الإنسحاب منها . وتجري مفاوضات سرية مع كل منهم , وتعد كل واحد أنها سوف تترك له المواقع والأسلحه التي بحوزتها وتسلم له كل شيء فيتحفز كل منهم طامعا في غنائم طائله.
وأحيانا أخرى تعقد الحكومة تحالفات بين أكثر من طرف, ثم تكون بنفسها تحالفا مضادا بين اطراف أخرى, وكل محور على وعد أنه سوف يتسلم كل شيء. والقوات المنسحبة لاتأخذ معها كل شيء فهى تترك أسلحة ومنشآت عسكرية ومعدات ثقيله وغيرها... وتكون تلك المواد هى موضوع النزاع المسلح بين المجاهدين.
لقد أخلى الجيش الافغانى مساحات واسعة جدا فى هذا العام وكان الانسحاب مخططا له سلفا , ولكن وقعت حالات قتال أو اطلاق نار. على القوات الأخيرة المنسحبة وسبب ذلك خسائر كبيرة لها, ولكنها أيضا هجمات غير مخطط لها وغير مقصود لذاتها فى غالب الام.
إنما ايزانا ببدء الصراع على الغنائم أو للحصول على المزيد من عتاد المتسحبين.
ثلاث نتائج سعت إليها السلطات الشيوعية من عملية الاسحاب وحصلوا عليها بدرجات مختلفه من النجاح.
-1اشعال قتال داخلى بين مجموعات المجاهدين, من اجل اقتسام الغنائم, أو فرض الهيمنه والنفوذ على الاراضى المحررة.
-2رفع الحواجز وتشجيع الحركة بين المناطق المحررة والمدن الكبرى التى تسيطر عليها الحكومة, مما اتاح فرصا واسعة للاختراق الامن والتجسس الحكومه, مع تمييع العداوة العقائديه القديمة بين المسلمين والشيوعيين.
واتاحة الفرصة الاهالى لعقد مقارنه بين الاستقرار والنظام والامن فى مناطق الحكومة وبين الفوضى والقتال واختلال الامن فى المناطق المحررة.

على أى حال الوضع فى جنوب البلاد أفضل منه بكثير فى الشمال الذى كان مهيئا , كما جرى تجهيزه لتصفيات سياسية بل وعرقيه وكان مسعود هو الاكثر وعيا وجاهزيه لذلك البرنامج.
وقد جاءت تلك الحقيقه فيما نقلته "التايم" الاميكية على لسان أحد مساعديه فيما أوردناه قبل قليل بأن هناك إستعداد لمعارك الربيع. وهى معارك لم تكن بحال مع الجيش الحكومى بل من أجل تطهير الشمال من أى قادة أقوياء لأحزاب آخرين خاصه حزب اسلامى حكمتيار, كذلك من أجل اضعاف شوكه " البشتون" بتصفيه قادتهم الاقوياء وازالتهم من المواقع العسكرية والحساسة.
كان الجيش الافغانى يجرى انسحابا إستراتيجيا ورهانه كما ذكرنا كان على تطورات السياسة الدولية الداخليه داخليا كان عليه استثمار أخطاء المجاهدين فى الاساس, ودوليا عليه استثمار النواحى الايجابيه -- بالنسبه له فى

الموقف الدولى "الامريكى والسوفيتى". وهو موقف كان بلاشك واضحا فى أقصى درجاته عند نجيب الله اكثر مما كان فى أزهان قادة المنظمات المشوشه, وإلا لما اكتسب نجيب الله لقب بطل البقاء لدى الصحافه العالمية.
كان بطل البقاء يعلم أن سادة العالم أن تنتهى الحرب الافغانيه بلاغالب أو مغلوب أو بمعنى أصح بهزيمه الطرفين -- كما انتهت فى صيف نفس العام حرب الخليج الأول بين العراق وإيران -- ومازال من المطلوب استمرار الحرب الدوليه فى أفغان بهدف ايقاع اكبر قدر من التدمير فى البنيه التحتيه الاقتصادية والقاعدة السكانية, بحيث يصعب أو يستحيل قيام أى كيان سياسى مستقل أو شبه دوله فى تلك الرقعة من العالم.
ذلك القدر فى الخراب المجنون يتكفل بتغيير القناعات الدينيه ومبدأ الجهاد مع فقدان التّقه فى قيام حل إسلامى لمشاكل البلاد.
السياسية والاجتماعية والاقتصاديه, فتكون افغانستان ساحة دائمه للنفوذ الخارجى وتأثيراته المختلفه, وربما تصفيه حساباته وعداواته على أرضها -- كما كانت لبنان يوما.
تلك الصورة ليست كئيبه فى عين نجيب الله طالما هى تترك أمامه مساحة لابأس بها للمناورة والبقاء الى فترة بما تكون غير محدودة... فالمهارة لاتنقصه أبدا ولكنه حتما فى حاجة الى قدر لابأس به من حسن الطالع, ودعاء الوالدين.
)))

نهايه العام :
أحزان فى موسكو
كرنفال فى واشنطن

كانت شمس العظمه والقوة تغرب من سماء موسكو -- ربما -- لآخر مرة والى الأبد -- ولكن قليلون فى العالم كانوا يدركون معنى ذلك وأسبابه ونتائجه... وجهزوا أنفسهم بناء على ذلك بالطبع لم تكن من بين هؤلاء, رغم أن نظره عابرة على الصفحة فى شهر ديسمبر كان كافيه لادراك ذلك.
فى اليوم الذى فيه الصحف اخبار الزلزال الذى ضرب أرمينيا, وكان من اكبر زلازل المنطقة من حيث اتساع التدمير والقتلى.
حتى أن الرئيس السوفيتى وعد بتنفيذ برنامج يمادة إعمار قيمته ثمانيه مليار دولار.
كشفت الكارثه على سوءات نظام يتداعى, فهذا أخصائ فرنسى من الفرق الاجنبيه التى توافرت على المنطقة للمساعده فى الانقاذ يستبعد إمكانيه العثور على أحياء كثيرين تحت الانقاض بسبب التأخر فى العمليات خلال الايام الاولى, ورأى أن نوعيه الاسمنت فى المبانى التى إنهارت هى السبب فى سقوط هذا العدد الهائل من

الضحايا واوضح أن الاسمنت تحطم هذه المرة الى لوحات تتشكل تحتها جيوب نجاه لكن الاسمنت تحطم هذه المرة الى قطع صغيرة وسحق كل شئ.".
أما المليونير اليهودى الامريكى "أرنولد هامر" الذى انجز نجاح مهام الدبلوماسيه السريه فى اتفاق نيف الخاص بأفغانستان.
وأشتهر بأنه البطل الخفى الذى هندس الحل الدولى للمأزق الافغانى أنه الآن يمد يد العون اليهودى للاتحاد السوفيتى فى محنه الزلزال فيرسل طائرة تنقل معونات طبيه مع مليون دولار نقدا.
واسرائيل التى كانت اكبر المستفيدين فى انهيار الاتحاد السوفيتى فيما بعد فقد ارسلت طائرتين عسكيتين تحملان 7 طن معونات طبيه -- اعترض على نوعيتها السوفييت.
فعادت الطائرات مرة أخرى وجاءت بنوعيه المعونه المطلوبه
-جريده الخليج 23/12/88--

وفى واشنطن توجه الرئيس ريجان وزوجته الى السفارة السوفيتيه لتقديم التعازى. كما جمع افراد الجاليه الامنيه مبلغ 3مليون دولار خلال حملة دامت 6 ساعات فى لوس انجلوس.
فى نفس اليوم الذى اوردت فيه وكالا الانباء الاخبار السابقه عن الكارثه السوفيتيه (فى 13 ديسمبر) كانت اجهزتها تيث "تفاصيل إحتفالات تنصيب ور بوش لمنصب الرئاسه فى الولايات المتحدة الشهر المقبل". وقالت بأنها ستكون إحتفالات لم يسبق لها مثيل منذ تنصيب أول رئيس عليها منذ مئتى عام. وسيتم لهذا الغرض انفاق مبالغ طائله لتغطيه
الاحتفالات. وقالت وكالة رويتر فى تقريرها ؛ وفى احتفال تنصيب بوش ستشهد العاصمه واشنطن مواكب موسيقيه وعروضا لفرق الفرسان ويشارك كبار نجوم السينما وآلاف الضيوف فى الاحتفالات التى تستمر أياما عدة حتى يوم التنصيب فى 20 يناير حيث ستبلغ الذروة.
ويقول مسئولو لجنه التنصب أنهم أعدوا ما بين 20مليون, 25 مليون دولار كميزانيه خاصه لتغطيه نفقات الاحتفال".
؛ ويتوقع أن يغص فناء مبنى الكابيتول الغربى بنحو 150 ألف لرؤية تنصيب بوش ونائبه كوالى.»
؛ ويقوم مسئولن بجمع قروض بدون فوائد سيتم تسديدها من بيع تذاكر احتفالات التنصيب ومن تبرعات نفريه ادناها مئة ألف دولا (!!) وقد أثارت التحضيرات لاحتفالات التنصيب إنتقادات الحريصين على القيم فى أمريكا.»
؛ويبلغ ثمن تذكرة الدعوة لزوجين ثلاثة آلاف دولار حيث يتناولان عشاء فاخرا فى محطة الاتحاد فى 18 الشهر المقبل.»
؛ وسيجرى بيع تزكره مشاهده عروض الفرق الموسيقيه وعروض وحدات الكاوبوى والهنود الحمر فى الصف الامامى فى شارع بنسلفانيا بمائه دولار. كما توجد مقاعد رخيصه لاتتجاوز 12.5 دولار»
؛ وللمشاركه فى حفلات الرقص الثمانيه فستكلف ثمن تذكرة الحضور 175 دولارا للفرد. بينما الفررد الموصى به سيدفع 30 دولا فقط»
-- جريدة الخليج 23/12/88--
هكذا كانت موسكو تحاول تضميد جراحها التى فقدت السيطره عليها, حتى جاءها ذلك الزلزال بكارثه أخرى لم تكن متوقعه, فهى تودع عاما مضى وتستقل عاما جديدا كأسوأ ما تكون عليه أحوال الدوله فى الداخل والخارج.
أما واشنطن فكما نرى, تسكر وتعربد فى إحتفالات العظمه الكونيه, وتنصيب "قيصر" جديد فى البيت الأبيض.
لقد جاء لبلاده بما وضعها فوق قمه العالم بلا منافس حتى فى المدى المنظور.
جاء لها بنصر مؤزر هدم دوله السوفييت المنافسه وهو نصر حققه مسلموا أفغانستان.
وجاء لها بأكثر احتياطى نفطى فى العالم -- وهو الموجود فى بلاد المسلمين فى جزيرة العرب -- فوضعه تحت أحذيه جنود بلاده فى إحتفال دولى صاخب لم يسبق له مثيل أيضا -- مثل احتفلات تنصيبه فى واشنطن -- واطلق على ذلك الاستعراض من المسرحى اسم حب تحرير الكويت.
ثم امسك بمفاتيح المنطقه العربيه وسلمها لإسرائيل, بثرواتها وشعوبها وحكامها وجيوشها, لتكون إسرائيل قوى عظمى إقليميه لاتنازع.

ولتصبح اكبر من اسرائيل الكبرى التى ادعتها كتبهم المقدسه.
وحتى يطمئن اليهود أن اصبح لهم فى عصر علوهم الاخيرة دولتان:
واحده فى بلاد العرب وهى إسرائيل, وأخرى فى بلاد العالم الجديد وهى الولايات المتحدة الامريكية.

الخميس 30 ديسمبر 88:
وصلنا الى ميرانشاه قادمين من بشاور, كان معى أبو حفص, وصابر الصعيدى, وشاب جزائرى. ذهبنا الى بيتنا القديم الى جانب المستشفى, والى جانبه البيت الآخر وقد استقلت به اسرة "عبدالرحمن" والمكونه من زوجته وأبوها العجوز, وابنها الاكبز ابراهيم وعمره أقل من سنتان. ثم الابن الآخر "عبدالرحيم" والذى ولد بعد وفاه ابيه بفترة قصيرة. كان بيتهم يلفه صمت وكآبه.
كنت مرهقا فنمت حتى أذان العصر, بينما ذهب أبا حفص ليقابل ابو عبدالله (اسامه) ثم ذهب معا فى جوله تشمل قاعدة جاور لحقانى وقاعدة جهادوال لحكمتيار وهى الى جنوب شرق اور.
وصلت مجموعة من الشباب العرب, وكانوا فى الطريق الى حقانى لزيارته فى بيته, بعد أن عاد منذ يومين فقط من داخل أفغانستان, وكان قد غادر فى يوليو الماضى ميرانشاه نحو سرانا, فى نفس الوقت الذى كنا نحن نتوجه نحو شاهى كوت.
لكننى رفضت الذهاب معهم لكون الوقت غير ملائهم كما أننى لن استطيع الكلام معه بحريه.

الجمعه 31 ديسمبر 88:
فى الصباح توجهت لزيارة مقبرة عبدالرحمن, وجلست هناك فترة طويله فى المربع المحيط بالأحجار والذى يضم مقبرته يضم أيضا مقابر أصدقاء قدامى كانوا أيضا من أعمدة الجهاد الطاهرة, كان هناك الشيخان أحمد جول, وفتح الله حقانى. وعلى بعد خطوات من ذلك التجمع المبارك توجد مقبرة صديق القديم " شاكرين" والذى استشهد فى ليجاه عام 1982 , والى تتميز بحشد كبير من الرايات المرفوعه على اعواد بامبو طويله فى نهايه أحدها مايشبه مروحة من ذلك النوع الذى يعلقه فى أسقف البيوت, لذا يمكن تمييزها من بعيد على الرغم من زحام الرايات, واعواد البامبو حول قبور الشهداء التى تشكل غالبية قبور المنطقه.
كان حقانى فى إجتماع مع قومندانات باكتيا خلال هذا اليوم, ولكنه سأل عنى وبحث فلم يجدنى, أخبرنى بذلك "جعفر المصرى. كان الاجتماع فى احد المكاتب التابعة لحقانى قرب بيت العرب, بقيت هناك حتى صلاة المغرب, وبعد الصلاة وجدت حقانى ونائبه نظام الدين خلفى. فصافحانى بترحاب واضح, وصطحبنى حقانى معه الى البيت فى سيارته من طراز "رانج روفر". كان يعانى من البرد والصداع ولكنه كان نشيطا خفيف الحركة.
ادخلنا حقانى الى ملحق جديد مكون من غرفه ضخمه ملحق بها غرفه صغيرة بها سريران أنيقان مع دورة مياة صغيرة ملحقه بها, اوللملحق كله حديقه كبيرة لها بابان الى الخارج, واحد منهما يؤدى الى المطبخ وغرفه للحرس.
أخبرنى حقانى أنه أخذ تخيصا لهذا التوسيع فى المبنى بغرض بناء ملحق خاص لكبار الزوار الذين لايرغبون فى الاختلاط بالآخرين خاصه وٱلئك المواظين فى الحكومة الباكستانية, وقد وصل بعضهم الى ميرانشاه بالهيلوكبتر من اجل الحديث معه بعد غيبته الطويله تلك داخل أفغانستان والتى كانت بهدف القضاء على فتنه مجموعة من رجال القبائل اعلنوا إقسامهم لحكومه كابل بعد أن استلموا منها أسلحة وأموال.
تحدثت معه طويلا واخبرنى عن تطورات تلك الأزمه قائلا.
أن منطقه زدران بخير, والذى تعاملوا مع الحكومه لايزيد عددهم عن مئتى شخص وقد عوقبوا وسجنوا لابعضهم فى سجن اور, والمنطقه الآن هادئه.
أما فى زورمات فالناس هناك كانوا متوقفين عن الجهاد, ويذهبون الى مدينه جارديز, ولابد من تواجد قائد كبير معهم لأن الحكومه تحاول خداعهم وكسب الوقت, فتتصل القادة الصغار وتحدثهم عن رغبتها فى التسليم لهم دون الآخرين فيحدث الطمع والشقاق.
وقد فتحت مدينه تعمير صغيرة ؛ وهى من منطقه تعمير الى الغرب من جارديز على بعد حوالى 35 كيلومتر« وفتحت كذلك عدة بوسطات حكوميه.

قوة الجيش فى جارديزصغيرة وتعداداها ألف وخمسمئة جندى تقريبا ومثلهم من جنود الميليشيا, ويعانون من قله الوقود والفحم الذى كان يأتى من روسيا عن طيق كابل. اضافه الى ازمه وقود وذخائر, والمدينه محاصرة وحالها أسوأ من خوست.

وكان اجتماع اليوم مع الكومندانات من البدو ؛الكوتشى« لوضع برنامج كبير ضد مدينه خوست ؛ شبه اقتحام.»

وقال الشيخ حقانى بأن ميليشيات خوست قويه وتقاتل بحماس بعكس ميليشيات جارديز التى لاترتاح كثيرا فى تعاملاتها مع الحكومه.

وبالنسبه للفتوحات الاخيرة -- فى أورجون وتعمير وغيرها -- فقد اشتى حقانى كميات ضخمة منها بما يعادل 19 مليون روبيه باكستانيه عبارة عن ذخائر ومدافع ورادارات (!!), وقال أن ذلك احتياطى للمستقبل تقوم بتخزينه فى زدران ونكا, وبغر (على حدود باكتيكا مع باكستان.(

ثم كلمته عن فكرتنا فى تخريب طريق زدران ونسف الجسور التى عليها عندما علمنا أن هناك حمله حكوميه لاقتحامه من جديد فلقننى درسا لا أنساه حين قال: نحن نحاول اصلاح الطريق, ولا تخريبها, من أجل أن يستخدمها الناس والمجاهدين وأن الدفاع عن الطرق فيعتمد على معونويات الناس وليس على شكل الطريق سليما كان أم مدمرا.»

وعن الوضع السياسى قال أنه لم تصله معلومات كثيره ولكنه يستبعد أن توافق باكستان على مجئ ظاهر شاه.

ثم ادهشنى بموقفه المدنى من مبدأ الحكومه الموسعه التى لاتضم "شيوعيين بارزين" حتى لايحدث قتال بين الافغان وحتى يعود المهاجرون, وحتى لايجد الروس مبررا لاعادة التدخل إذا سقطت البلاد فى الفوضى.

لم يعجبنى الرأى كثيرا لكننى لم أعلق عليه معطيا نفسى فرصة اكبر للتفكير. فإذا كان حقانى يقول ذلك فلا شك أن عناصر ضعف -- أكثر مما أتوقع. قد داهمت مواقف المجاهدين, وكان يجب علي أن ابحث عن مستجدات الموقف بدلا من الدخول فى مجادله تأخذ طابع المزايده مع حقانى الذى لا أرى بحال مجالا للمزايده عليه.

أحضروا لنا العشاء الأخير لعام 88. وكان مكونا من بقيا طعام القداء مع عسل نحل جبال زدران -- وهو نوع شمعى القوام ابيض اللون -- إضافه الى ؛دوغ« وهو الماء المتبقى بعد إستخلاص كل شئ من الحليب.

فى بدايه الجلسه قبل جديثنا الطويل عزانى الشيخ حقانى فى استشهاد إبنى خالد وقال أنه لم يسمع إلا متأخرا بذلك - المصيبه العظيمه -- على حد قوله.

قلت له إن خالد وعبدالحمن قد استشهدان فى وقت متقارب وكنت أتمنى أن أكون معهم, ولكن الشهاده قدر ونصيب.

نظر حقانى فى عينى مباشرة وقال: عسى الله ينفع بك المسلمين والحديث يقول خيركم من طال عمره وحسن عمله.

ثم سألنى عن استعدادى للمعمل فى مجلته العربيه التى ينوى اصدارها فقلت له أننى مستعد. وأجلنا الحديث فى التفاصيل فى وقت لاحق, وأخبرته أن يطلبنى من خلال بيت العرب إذا احتاجنى فى أى موضوع, فانا سأذهب صباحا مع الاخوة العرب الى معسكر جهادوال , ثم ودعته وانصرفت, وكان ذلك آخر لقاء لى معه فى ذلك العام. واعتبرت ذلك ختاما طيبا لذلك العام, فمكانه حقانى فى نفسى هى مكانه فريده, جعلته م أهم الشخصيات فى حياتى وربما الشخصيه الأهم على الاطلاق والابعد أثرا حتى أن طبيعه حياتى قد تغيرت تماما بعد تعرض عليه, بحيث يمكن القول أنها الفيصل مابين مرحلتين, مرحلة ماقبل حقانى ومحله مابعد التعرف عليه وبدءالجهاد معه.

طبع والحمد لله رب العالمين.